الأسلوبية في المستوى الصوتي والصرفي

أ.م.د. انوار سعيد الحيدري

الباحثة منال عزيز ياسين

المقدمة:

بسم الله، وبالله، وصلى الله على أفصح الأنام محمد، وآله الطيبين الطاهرين..

أمّا بعد؛ فقد سلّطت الباحثة الضوء على المباحث الأسلوبيّة في تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور، بأحد مستوياتها وهو المستوى الصوتي والصرفي في قصار السور؛ وذلك لغزارتها بالصور الفنيّة، والمضامين الأسلوبيّة. ويُعدُّ كتاب (التحرير والتنوير) من التفاسير المُوسَّعة في القُرآن الكريم، وصبغتُه بلاغيّة بيانيّة لغوية عقلانيّة.. وقد اهتمّ ابنُ عاشور ابتداءً بِبَيَان تناسب اتِّصَال الْآي ببَعْضهَا، فذكر ذلك في مُقدّمته التي صدّرها كتابه؛ لتكون مُعِيْنًا للقارئ والدارس على فهم الكثير من القضايا المُتصلة بعلوم القرآن الكريم، وتناول وسائل التفسير التي أقام عليها منهجه بالرواية، والدراية، فيما ذكره من أقوال، وما أبداه من آراء، وما استعرضه من روايات.. وتنوّعت مصادِرُه فيه بين قديم، وحديث.

وجاء البحث (الأسلوبيّة في المستوى الصوتي . الصرفي)؛ فيشتمل على ثلاثة مباحث، الأول: في النسق الصوتي بمحوريه: (المُخالفة) المَخصُوصة بالإبدال والإعلال، و(المُماثلة) المخصُوصة بالإدغام.. ثم المبحث الثاني، وموضوعه: (الفاصِلة القُرآنية، وأثرها الإيحائي)، ثم المبحث الثالث، وموضوعه (التكرار، و التوازي)، تناولت فيه الباحثة الفرق بين المُصطلحين من ناحية المفهوم والتطبيق، وهو من المباحث الجليلة التي أولاها ابنُ عاشور عنايته في تفسيره..

واختُتِمت الدراسة بجُملة من النتائج التي لها علاقة بأسلوب الطاهر نفسه، وما يتعلق بمستحدثاته، ومنهجه في التفسير، وتعليقاته، وإضافاته، ونتائج أخرى عامة، لها علاقة بالأسلوبية، وعلم الأسلوب.

الأسلوبية في المستوى الصوتي – الصرفي

يتعلّق البحث في المستوى الصوتي تعلّقًا متينًا بالمستوى الصرفي، وذلك؛ لأنّ أي تغيير في النسق الصّوتي، من زيادة أو نقصان في المُصوتات، أو تغيّر بالحركات والسكنات، يؤدي غالِبًا إلى اختلاف الصيغة ومعناها[1]

.. ويأتي البحث في هذا الفصل منسجما مع طبيعة النسق القرآني الصوتي والصرفي في السور القصار..

وتُعدُّ الصيغة الصرفية عند علماء العربية القُدامى قرينة من القرائن اللفظية التي ترد في سلسلة الكلام، وتكون دالة على معنى يُلزِمُ المُتلقي بقبوله، وقد اقتفى المُحدّثُون آثار المُتقدمين في ذلك؛ إذ منحوا الدرس الصرفي . الصوتي مكانةً مرموقةً في اللسانيات المُعاصرة، وعدّه اللغويون ركيزة أساسية في البحث اللغوي المُعجميّ، أمُا الأسلوبيون؛ فقد اتخذوه وسيلةً للتقعّر في استنباط الدلالات الخفيّة الكامنة في النص الإبداعي.. ولمّا كانت الصيغة على هذه الدرجة من الأهمية؛ خصّها نفرٌ من الباحثين بالعناية في تحليلهم للخطاب القرآني، فكان بالنسبة إليهم معلمًا من معالم البحث في الإعجاز القرآني، فالصيغة الصرفيّة ترد على هيأة مخصوصة في القُرآن لتحقيق مقاصد معينة لا تكتمل إلاّ بها[2](وتسعى العربية دائمًا إلى تحقيق النسق بين الأصوات المُجتمعة في التركيب؛ لتخفيف عناء النطق، فإنّ الأصوات حينما تتجاور في الكلمة الواحدة، أو في الكلام المتّصل، يطرأ عليها تغيُّر في صفاتها، أو مخارجها، أو في صفاتها ومخارجها معًا، ويكون التغيّر جزئيًا أو كليًا؛ بحسب طبيعة التجاور..[3]

ويأتي مبحث (المُخالفة والمُماثلة) في تفسير (التحرير والتنوير) مُنسجمًا مع طبيعة النسق القرآني (الصوتي، والصرفي) في السور القصار، من وجهة نظر الطاهر بن عاشور، ومن حيث بيان الأثر الموسيقي الذي تتركه الكلمة المُفردة . أو الكلمتان المُتجاورتان . في دلالة السياق الذي يحتويها.. والبحث في هذا الموضوع يتطلب أولا معرفة الكيفية التي تجعل المُتكلّم يلجأ إلى إلغاء التنافر الواقع بين الأصوات المُتجاورة في الكلمة، أو في الكلمات المُتجاورة، بطُرقٍ شتّى، كحذفه الصّوت الذي يؤدي إلى التنافر، أو إلغاء التأليف الصّوتي والجنوح إلى تأليف آخر جديد لا يظهر فيه تنافر بين الأصوات. وما الإعلال والإبدال إلا وسيلة من وسائل إلغاء التنافر بين الأصوات المُتجاورة عن طريق إحداث تغيير في الأصوات، يجعلها أكثر انسجامًا.[٤]

واختارت الباحثة في المبحث الأول موضوعًا يُعوّل عليه كثيرًا في الدرس الصوتي . الصرفي، وهو: (المُخالفة، والمُماثَلَة)، فـ(المُخالفة) مخصُوصة بـ(الإعلال، والإبدال)، و(المُمَاثلة) مخصوصة بـ(الإدغام)..

المبحث الأول:

النسق الصوتي في المخالفة والمماثلة

المُخالفة؛ ظاهرة صوتية تنجم من تأثر، أو تأثير الأصوات ببعضها في عملية النطق، ويؤدي هذا التأثير إلى تغيير المخرج أو الصفة، ولكي يحدث التناسق تامًا بين الأصوات المُتنافرة؛ تُغيَّر بإحلال صوت مُناسب لمكانها، أو بحذفها، أو بإفنائها في صوت مُلائم لبقية الأصوات في الكلمات، والهدف من هذه التغيرات تقليل الجهد الذي تبذله أعضاء النطق في الأصوات المختلفة المخرج أو الصفة[٥]؛ فتتأثر الأصوات اللغوية في المتصل من الكلام، والأصوات في تأثرها هذا تهدف إلى نوع من المُماثلة بينها.. هذا التأثُّر يُسمّى بـ(التناسق الصوتي)[٦]..

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس نُدرة وقوع المُخالفة بين الأصوات الشديدة، مثل: إجّاص ← إنجاص.. لعلّ ← لعنّ.. فظاهرة التخالف الصّوتي تحقق للمتكلم سهولة النطق والاقتصاد في الجهد؛ لأنّ نطقه بالصوت المُضعّف يتطلب مجهودًا عضليًا أكبر مما لو قُلب أحد الصوتين إلى صوت مد، أو صوت من الأصوات الشبيهة به [٧].. ويرى فندريس المُخالفة على أنّها إجراء حركة نطقية واحدة كان من حقها أن تُعمل مرتين.. وأطلق عليها عبد الواحد وافي عليها مُصطلح التباين، إذ يقول: "إذا تجاور صوتان مُتحدان، أو تقاربا؛ فإنّهما يتنافران أحيانًا، فينتهي الأمر إلى واحدة من النتائج الثلاث الآتية: فتارة يتحول أحدهما إلى صوت مغاير للآخر (ظاهرة التباين) ، وتارة يسقط أحدهما في النطق ،وتارة يتساقطان معًا، ويحل محلهما صوت واحد غريب عنهما.. فكلام المُتقدِّمين والمُحدثين حول المُخالفة . إذن . مُتصلٌ ببعضه من حيث الغاية؛ وهي: تيسير النطق وتقليل المجهود العضلي. [٨]

وأمّا (المُماثلة)؛ فيُمثِّلُها الإدغام.. يقول بعض المُحدثين: "والادغام عند رواد المدرسة الحديثة هو التماثل أو درجة منه، وفي تحقيقه يتحول الحرفان المُتجانسان إلى حرفين يمتلكان صفة التماثل، والإدغام صنف من صنوف التماثل الصّوتي في مساقها الرجعي"[٩] .. والغاية من الإدغام بطبيعة الحال أيضًا مُتعلّقة بالتيسير، وتقليل الجُهد العضلي أثناء النُطق.

إنّ تقارب المخرجين شرط من شروط إدغام المُتقاربين، فإذا تباعدت المخارج؛ لا يتم الادغام.. فمثلاً: لا يتم الإدغام بين حروف اللسان وحروف الحلق.. [١٠] .

وقسّم ابن عاشور الإدغام لِمُناسبة من المُناسبات على قسمين، فقال: "وَقَرَأَ الْجَمِيعُ (مَناسِكَكُمْ) بِفَكِّ الْكَافَيْنِ، وَقَرَأَهُ السُّوسِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بِإِدْغَامِهِمَا، وَهُوَ الْإِدْغَامُ الْكَبِيرُ"[١١]. وأحال على الإتقان، وشَرْحِ الشاطبي، فقال في هامش التحرير: "الْإِدْغَام يَنْقَسِم إِلَى كَبِير، وصغير، فالكبير: هُوَ مَا كَانَ فِيهِ المدغم والمدغم فِيهِ متحركين، سَوَاء أكَانَا مثلين، أَو جِنْسَيْنِ، أَو مُتقاربين، سمي بِهِ؛ لِأَنَّهُ يسكن الأول ويدغم فِي الثَّانِي؛ فَيحصل فِيهِ عملان فَصَارَ كبيرًا. وَالصَّغِير: هُوَ مَا كَانَ فِيهِ المدغم سَاكِنا فيدغم فِي الثَّانِي؛ فَيحصل فِيهِ عمل وَاحِد وَلذَا سمي بِهِ."[١٢].

ويُسخِّر الطاهر مصطلح (الإبدال) في مواضع مُختلفة لمعنى لا علاقة له بالصوت، ولكن له علاقة بما تُسمّيه الباحثة بـ(النحو البياني).. فإنّك إن تفحّصت (التحرير والتنوير)؛ وجدت فيه شيئًا يسيرًا مُتعلقًا بالصوت، وشيئًا كثيرًا مُتعلّقًا بالتراكيب البيانية، فكأنّ ابن عاشوريولي البيانَ كُلّ عنايته في تفسيره، فإن رأيت عبارة (الإبدال) تتكرّر بكثرة في تحليلاته الفنيّة؛ فذلك يعني غالبًا الإبدال النحوي البياني، وليس الإبدال الصوتي.. فالطاهر . على ما مرّ بنا . مُنصرف إلى إظهار ما له علاقة بجماليات النص القُرآني.. مثل ذلك ما نقله عن صاحب (الكشاف)..: "قَالَ (الزمخشري) فِي «الْكَشَّافِ»: «فَإِنْ قُلْتَ مَا فَائِدَةُ الْبَدَلِ؟ قُلْتُ فَائِدَتُهُ التَّوْكِيدُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّثْنِيَةِ وَالتَّكْرِيرِ» اهـ.. فَأَفْهَمَ كَلَامُهُ أَنَّ فَائِدَةَ (الْإِبْدَالِ) أَمْرَانِ يَرْجِعَانِ إِلَى التَّوْكِيدِ، وَهُمَا مَا فِيهِ مِنَ التَّثْنِيَةِ.."[١٣]

وفي قوله تعالى: ﴿ولا تذرُنَّ آلهتكُنَ ولا تذرُنَّ وَدّا ولا سُوّعًا ولا يغوثَ، ويَعُوقَ ونَسْرًا﴾[١٤] قال: "وَلِقَصْدِ التَّوْكِيدِ أُعِيدَ فِعْلُ النَّهْيِ (وَلا تَذَرُنَّ) وَلَمْ يُسْلَكْ طَرِيقُ (الْإِبْدَالِ)، وَالتَّوْكِيدُ اللَّفْظِيُّ قَدْ يُقْرَنُ بِالْعَاطِفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَما أَدْراكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْراكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[١٥]."[١٦]

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾[١٧].. قال: "وَاسْتُعِيرَ الْجند للملأ لقَوْله: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾[١٨] ثُمَّ رُشِّحَتِ الِاسْتِعَارَةُ بِاسْتِعَارَةِ مَهْزُومٍ وَهُوَ الْمَغْلُوبُ فِي الْحَرْبِ فَاسْتُعِيرَ لِلْمُهْلَكِ الْمُسْتَأْصَلِ مِنْ دُونِ حَرْبٍ. وَأُبْدِلَ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ مِنَ الْجُنُودِ بَدَلًا مُطَابِقًا لِأَنَّهُ أُرِيدَ الْعِبْرَةُ بِهَؤُلَاءِ."[١٩].

وفي قوله تعالى: ﴿اقرأ باسمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ* خَلَقَ الإنسان مِن عَلَق* اقرأ وَرَبُّكَ الأكرَم* الذي علّمَ بالقلَم* علّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَم﴾[٢٠].. قال ابنُ عاشور: "(الْإِبْدَالِ) لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِجْمَالِ ابْتِدَاءً لِإِقَامَةِ الِاسْتِدْلَالِ عَلَى افْتِقَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا إِلَيْهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ الشُّرُوعِ فِي تَأْسِيسِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ."[٢١].

مِمّا تقدّم تتضح بجلاء عناية صاحب التحرير بإبراز تماسك النص من ناحية المعنى المُتحصّل بالأبدال اللفظيّة.. وهذا المعنى (نحوي بياني)، ولا علاقة له بالصوت..

أمّا ما له علاقة بالصوت؛ فنجده في الآية الأولى من سورة العاديات:﴿ فالعادياتُ ضَبْحا﴾.. قال ابنُ عاشور: "وَالضَّبْحُ لَا يُطْلَقُ عَلَى صَوْتِ الْإِبِلِ فِي قَوْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ... وَبَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مَمنْ جَعَلَهَا لِلْإِبِلِ.. جَعَلَ (ضَبْحًا) بِمَعْنَى (ضَبْعًا)، يُقَالُ: ضَبَحَتِ النَّاقَةُ فِي سَيْرِهَا وَضَبَعَتْ، إِذَا مَدَّتْ ضَبْعَيْهَا فِي السَّيْرِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: ضَبَحَتِ الْخَيْلُ وَضَبَعَتْ، إِذَا عَدَتْ وَهُوَ أَنْ يَمُدَّ الْفَرَسُ ضَبْعَيْهِ إِذَا عَدَا، أَيْ: فَالضَّبْحُ لُغَةٌ فِي الضَّبْعِ، وَهُوَ مِنْ قَلْبِ الْعَيْنِ حَاءً. قَالَ فِي «الْكَشَّافِ»: «وَلَيْسَ بِثَبْتٍ». وَلَكِنْ صَاحِبُ «الْقَامُوسِ» اعْتَمَدَهُ. وَعَلَى تَفْسِيرِ الْعادِياتِ بِأَنَّهَا الْإِبِلُ؛ يَكُونُ الضَّبْحُ اسْتُعِيرَ لِصَوْتِ الْإِبِلِ، أَيْ: مِنْ شِدَّةِ الْعَدْوِ قَوِيَتِ الْأَصْوَاتُ الْمُتَرَدِّدَةُ فِي حَنَاجِرِهَا حَتَّى أَشْبَهَتْ ضَبْحَ الْخَيْلِ، أَوْ أُرِيدَ بِالضَّبْحِ الضَّبْعُ عَلَى لُغَةِ الْإِبْدَالِ."[٢٢] .. فهذا مبحثٌ صوتي . صرفي.

ويأتي لفظ (سَفَرَة) في قوله تعالى: ﴿بأيدٍ سَفَرَة﴾[٢٣] جمعًا لِـ(سَافِر)، كما تأتي (كَتَبة) جمعًا لـ(كاتب).. قال: "...(سَفَرَة) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (سَافِرٍ)، مِثْلَ: (كَاتِبٍ وَكَتَبَةٍ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ جَمْعِ سَفِيرٍ، وَهُوَ الْمُرْسَلُ فِي أَمْرٍ مُهِمٍّ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَقِيَاسُ جَمْعِهِ سُفَرَاءُ... أَيْ: الْمُمَاثِلَةِ فِي الْمَعَانِي"[٢٤]..

وتأتي المُخالفة لدفع سآمة التكرار، فالكامن من الدلالة جوهرٌ، لكنّه في الظاهر مُختلف؛ وتكرار اللفظ غالِبًا يسمج في الموضع الواحد؛ لأنّ الأذن تأنف تكرار المُتماثلات في المواضع الواحد، وهذه ناحية جماليّة لفظيّة لها أثرٌ في النفس.. ففي توجيه معنى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ،..﴾[٢٥].. وردت (اتبع) في (وَاتَّبَعَتْهُمْ) و(ألحق) في (أَلْحَقْنَا) على سبيل التنويع في اللفظ وتجنُّب التكرار.. قال ابنُ عاشور: "... وَفِي الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الصِّيغَتَيْنِ تَفَنُّنٌ لِدَفْعِ إِعَادَةِ اللَّفْظِ"[٢٦].

وتأتي المُخالفة في الصياغة الصوتية التركيبية شكلاً من أشكال التلوين الموسيقي.. كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ* ولا أَنَا عابِدٌ مَا عَبَدْتُم* ولا أنتم عابِدُون ما أعبُد...﴾[٢٧].. قال ابن عاشور: "والنداء مُوجّه إِلَى الْأَرْبَعَة الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ... وَابْتُدِئَ خِطَابُهُمْ بِالنِّدَاءِ لِإِبْلَاغِهِمْ، لِأَنَّ النِّدَاءَ يَسْتَدْعِي إِقْبَالَ أَذْهَانِهِمْ عَلَى مَا سَيُلْقَى عَلَيْهِمْ..."[٢٨] إلى أن قال: "وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي جَانِبِ نَفْيِ عِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ بِنَفْيِ اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ بِقَوْلِهِ: وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ، أَيْ مَا أَنْتُمْ بِمُغَيِّرِينَ إِشْرَاكَكُمُ الْآنَ؛ لِأَنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَدِئُوا هُمْ فَيَعْبُدُوا الرَّبَّ الَّذِي يَعْبُدُهُ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً. وَبِهَذَا تَعْلَمُ وَجْهَ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ نَظْمِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي أُسْلُوبِ الِاسْتِعْمَالِ الْبَلِيغِ."[٢٩]..

فتعليل ابن عاشور منوط بإظهار دقائق دلالية أوحت بها هندسة التراكيب، فليس من الهيِّن حمل جماليّة الصورة الفنيّة على مجرد المُخالفة الظاهرة من تلوين فونيم العبادة؛ لأنّ أسلوبيّة البلاغة القرآنية تعتمد على مجموع العوامل النهائيّة المُشاركة في وقوع الفاصلة القرآنيّة، فالقصديّة من تناسق الآيات المذكورة تؤديها القرائن الصوتيّة، والتقنيّة، والدلاليَّة، ويُمكن تمثيل المُخالفة الصوتية للتأثير الراجع من التاء المهموس إلى الدال المجهور في (عَبَدْتُم) بإفناء دال الفعل في تائه، هكذا:

ولا أنَا عابِدٌ مَا (عَبَدْتُم) ± (عَبَ تُم).

ويُلمح الإبدال غالبًا في القراءات، ففي قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ...﴾[٣٠] قرأ الجمهور (أَنْ يُبْدِلَهُ) بتشديد (الدال).. قال ابن عاشور: "وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ (أَنْ يُبْدِلَهُ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِّ، مُضَارِعِ (بَدَّلَ). وَقَرَأَهُ يَعْقُوبُ بِتَخْفِيفِ مُضَارِعِ أَبْدَلَ"[٣١].

ووقف الطاهر على أصل (ديّار) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[٣٢].. فقال: "(ودَيَّارًا): اسْمٌ مَخْصُوصٌ بِالْوُقُوعِ فِي النَّفْيِ يَعُمُّ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَهُوَ اسْمٌ بِوَزْنِ (فَيْعَالٍ)، مُشْتَقٌّ مِنِ اسْمِ الدَّارِ، فَعَيْنُهُ وَاوٌ، لِأَنَّ عَيْنَ دَارٍ مُقَدَّرَةٌ وَاوًا، فَأَصْلُ دَيَّارٍ: دَيْوَارٍ.. فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ، وَاتَّصَلَتَا، وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ؛ قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً، ثُمَّ أُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ الزَّائِدَةِ، كَمَا فُعِلَ بِـ(سَيِّدٍ) وَ(مَيِّتٍ)، وَمَعْنَى دَيَّارٍ: مَنْ يَحُلُّ بِدَارِ الْقَوْمِ كِنَايَةً عَنْ إِنْسَانٍ"[٣٣].

وقال في موضع آخر مُتعلّق بسورة (المُزّمِل): "وَأَصْلُ الْمُزَّمِّلُ: الْمُتَزَمِّلُ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الزَّايِ بَعْدَ قَلْبِهَا زَايًا لِتَقَارُبِهِمَا"[٣٤].. ومثله (المُدَّثِّر): "والْمُدَّثِّرُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ تَدَثَّرَ، إِذَا لَبِسَ الدِّثَارَ، فَأَصْلُهُ الْمُتَدَثِّرُ أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ لِتَقَارُبِهِمَا فِي النُّطْقِ كَمَا وَقَعَ فِي فِعْلِ ادَّعَى.[٣٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ومَن يُشَاقِّ اللهَ..﴾[٣٦].. قال: "وَأُدْغِمَ الْقَافَانِ فِي يُشَاقِّ لِأَنَّ الْإِدْغَامَ والإظهار فِي مَثَلِهِ جَائِزَانِ فِي الْعَرَبِيَّة."[٣٧].. وضارعها بما في البقرة.. قال: "وقُرِئ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ﴾[٣٨] وَالْفَكُّ لُغَةُ الْحِجَازِ، وَالْإِدْغَامُ لُغَةُ بَقِيَّةِ الْعَرَبِ."[٣٩].

وفي موضع فك الإدغام عن الفعل (أعْتَدْنَا) في سورة الإنسان: ﴿إنّا أعْتَدْنا للكافرين سَلاسِلاً...﴾[٤٠].. أشار ابنُ عاشور إلى تردُّد العلماء في أصل هذا الفعل قال: "وَأَصْلُ أَعْتَدْنا أَعْدَدْنَا، بِدَالِينِ، أَيْ هَيَّأْنَا لِلْكَافِرِينَ، يُقَالُ: اعْتَدَّ كَمَا يُقَالُ: أَعَدَّ... وَقَدْ تَرَدَّدَ أئمةُ اللُّغَةِ فِي أَنَّ أَصْلَ الْفِعْلِ بِدَالِينِ، أَوْ بِتَاءٍ وَدَالٍ، فَلَمْ يَجْزِمُوا بِأَيِّهِمَا الْأَصْلُ؛ لِكَثْرَةِ وُرُودِ فِعْلِ (أَعَدَّ)، وَفِعْلِ (اعْتَدَّ) فِي الْكَلَامِ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُمَا فِعْلَانِ نَشَآ مِنْ لُغَتَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ الِاسْتِعْمَالَ خَصَّ الْفِعْلَ ذَا التَّاءِ بِعُدَّةِ الْحَرْبِ، فَقَالُوا: عَتَادُ الْحَرْبِ وَلَمْ يَقُولُوا عَدَادُ.. وَأَمَّا الْعُدَّةُ بِضَمِّ الْعَيْنِ فَتَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا يُعَدُّ وَيُهَيَّأُ، يُقَالُ: أَعَدَّ لِكُلِّ حَالٍ عُدَّةً.. وَيُطْلَقُ الْعَتَادُ عَلَى مَا يُعَدُّ مِنَ الْأُمُورِ."[٤١]. قال: "وَالْأَكْثَرُ أَنَّهُ إِذَا أُرِيدَ الْإِدْغَامُ جِيءَ بِالْفِعْلِ الَّذِي عَيْنُهُ دَالٌ وَإِذَا وُجِدَ مُقْتَضَى فَكِّ الْإِدْغَامِ لِمُوجِبٍ مِثْلِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ جِيءَ بِالْفِعْلِ الَّذِي عَيْنُهُ تَاءٌ."[٤٢].

وفي سورة التحريم: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ...﴾[٤٣].. قال: "وَأَصْلُ (تَظاهَرا): (تَتَظَاهَرَا)، فَقُلِبَتِ التَّاءُ ظَاءً؛ لِقُرْبِ مَخْرَجَيْهَا، وَأُدْغِمَتْ فِي ظَاءِ الْكَلِمَةِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ. وَقَرَأَهُ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: (تَظاهَرا) بِتَخْفِيفِ الظَّاءِ عَلَى حَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ لِلتَّخْفِيفِ"[٤٤].

وفي قوله تعالى: ﴿قدْ أفلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٤٥].. قال: "و(تَزَكَّى) قَرَأَهُ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَيَعْقُوبُ، بِتَشْدِيدِ الزَّايِ؛ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ أَصْلَهُ: (تَتَزَكَّى) بِتَاءَيْنِ، فَقُلِبَتِ التَّاءُ الْمُجَاوِرَةُ لِلزَّايِ زَايًا؛ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا، وَأُدْغِمَتْ فِي الزَّايِ. وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِ الزَّايِ على أَنّه حُذفت إِحْدَى التَّاءَيْنِ اقْتِصَارًا لِلتَّخْفِيفِ. وَفِعْلُ (تَزَكَّى) عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ أَصْلُهُ: (تَتَزَكَّى) بِتَاءَيْنِ، مُضَارِعُ (تَزَكَّى) مُطَاوِعُ زَكَّاهُ، أَيْ: جَعَلَهُ زَكِيًّا."[٤٦].

وبالمُحصلة؛ إنّ عناية الطاهر لم تَعْدُ عناية الآخرين مِمّن اهتموا بالدرس (الصرفي . الصوتي)؛ لِما له من أهمية في تصحيح نطق الألفاظ على الحقيقة، مع إيضاح الإجراءات التي تصاحب عملية تحليل المنطوق على سبيل المُناسبة، فليس كتاب (التحرير والتنوير) برمّته زاخرًا بالمباحث الصوتية؛ لأنّ المقصود به ليس الآليات، بل الأسلوبيّة المُتصلة ببيان الإعجاز القُرآني، وهذه الأسلوبيّة أظهر في المبحث التركيبي . البياني.

المبحث الثاني

*الفاصلة لغة واصطلاحا:

الفَصْلُ لغةً: بَونٌ ما بينَ الشيئينِ، وهو أيضًا القضاء بين الحق والباطل، والفاصلةُ: الخَرزَةُ التي تفصلُ بين الخرزَتينِ في النِّظَامِ... والفصل: الحاجز بين الشيئين.. وفصل يفصلُ فصلاً فانفصل"[٤٧]، وتدل كلمة فصل "على تمييز الشيء من الشيء وإبانته منه"[٤٨]. و"فصلت المرأة رضيعها فصلاً، يعني: فطمته"[٤٩]..

وتتفق التعريفات من ناحية المُصطلَح على أنّ الفاصلة تقع في آخر الآية، ولها أثر في تحسين المعنى، وهي عبارة عن حروف مُتشاكلة، وأنّها مُختصّة بالقرآن، فبما تقدّم؛ هي تختلف عن السجع والقافية.[٥٠]

وأنكر إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) أن لا يكون في القرآن موسيقى، قال: "فليس بعيب القرآن أن نحكم على أنّ في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر، أو قوافي كقوافي الشعر والنثر، بل تلك ناحية من نواحي الجمال فيه"[٥١].

والقصدُ من الفواصل: توضيح المعنى وتوفير الرونق اللفظي، إذ إنّها في القرآن قد جاءت لتناسب مضامين سوره، وإيقاع آياته، بحيث لا يجد السامع انقطاعًا في الكلام.[٥٢].. وترى الباحثة أنّ الذي دعاهم إلى تسمية ما في القرآن فواصل، ولم يُسمّوا ما تماثلت حروفُه سَجَعًا؛ رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم.

الفاصِلَة القُرآنيّة، وأثرُها الإيحائي

تنماز سور العهد المكي عمومًا بِقِصَر آياتها، وأنّ ألفاظها قائمة على نسق موسيقي مُتناسب مع الجو العام لسابق الآيات ولاحقها، مُوظّفةً لتوكيد مُرتكزات الدين الحنيف في العقيدة والإيمان، وتوافرت لأجل تلك الوظيفة جُملة من العوامل، كسلاسة الألفاظ، وجمال جرسها المُوسيقي المُتصاعد في التحذير من عذاب الآخرة، والهابط باتجاه الترغيب في نعيم الجنة، ويُمكن استظهار عناية المُتقدّمين بمبحث الانسجام بين الصوت والمعنى في القرآن، وأثر الفاصلة الإيحائي فيه، بِمَا أُثِرَ عن الوليد بن المُغيرة، إذ كان توصيفه لكتاب الله مُتأثِّرًا بما داعب مشاعره وأحاسيسه، فقال: "والله إنّ له لحلاوة، وأنّ له لطلاوة، وأنّ أعلاه لمُثمر، وأسفله لمُغدِق، وما هو بكلام بشر"[٥٣].. فما كان ذلك ليكون لولا انتظام الأصوات في القُرآن على نسيج خاص وُمُميّز.. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الصوت لا يُدرس مُنفصلا عن المستويات الأخرى، فالمستوى الصرفي . مثلا . له ركيزة قوية في نتائج البحث الصوتي، كما مرّ بِنا.

ويمكن تمثيل اللوحة القرآنيّة من الناحية الإيقاعية، بـ(بانوراما) صوتية مُتكاملة، تتألّف جُمَلُها من مقاطع صوتيّة مُتتابعة، بأطوال متفاوتة: قصيرة، أو طويلة، أو زائدة الطول، فلما كان ترتيب هذه المقاطع موزعًا في الجمل على التوالي بشكل مُتناسق؛ كان النسق المُتصل الذي يحتوي عليها مُتناسقًا أيضًا، وذا أثر بعيد في النفس من الناحية الموسيقيّة، ومُتناسبًا مع الأحداث التي تدور حول محوره، وتجدر الإشارة إلى أنّ المقاطع الصوتيّة المُقفلة تستغرق زمنًا أقل في النطق من تلك التي تستغرقه المقاطع المفتوحة؛ فلمّا كان الأمرُ كذلك؛ كان استخدام المقاطع المُقفلة

مُناسبًا لِلَونٍ من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة، والعكس صحيح[٥٤].. فالسر في جمال القرآن المُطلق في الواقع، سبَبُهُ: الهندسة الإيقاعية المبنيّة على تلائم مكوّناته الثلاثة في رؤوس مثلث الانسجام:

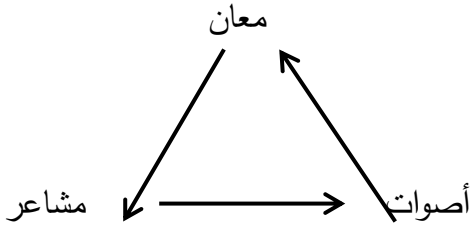

فالشكل المُتَصَوَّر هو أقرب ما يكون بالبانوراما، أو (الدورة المُقفلة).. ونستطيع القول: إنّ الأصوات في نظام اللغة الفنولوجي، لا قيمة رمزية لها، لكنّها مع ذلك تثير مشاعر القارئ، أو المُستمع في فعل كلام مُتجدد، مكتوب، أو شفوي، بالاتفاق مع المعنى[٥٥] .

ولعل الذي يهمنا . هاهُنا . أكثر من غيره، هو أنَّ التحليل الصوتي يستند إلى إدراك الخصائص الصوتية للغة في مستواها النمطيّ المُعتاد، ثم يرتقي منها الى مستوى فنّي متطور؛ لاستخلاص سماتها التي تظهر بوضوح في الأسلوب، ذلك؛ لأنّ الصوت والنطق يمكن أن يولِّدا انفعالاً في المُتلقي بشكل من الأشكال[٥٦] فالجملة القرآنية دقيقة بمفرداتها، وأصواتُها مُدجّجَة بالإيحاء؛ لأنَّك "لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها، او تنبو عن موضعها، أو لا تعيش مع أخواتها؛ حتى صار من العسير، بل من المستحيل أن تُغير في الجملة كلمة بأخرى، أو أن تستغني عن لفظ، أو أن تزيد فيها شيئًا، وصار قصارى أمرك إذا أردت مُعارضة جملة من القرآن أن ترجع، بعد طول المطاف، إليها، كأنّما لم يخلق اليه لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ، وكأنّما ضاقت اللغة؛ فلم تجد فيها وهي بحر خضم لتؤدي به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن لهذا الأداء"[٥٧].

من هنا يتضح لنا سر جمال التعبير القرآني، فألفاظه "لا تعدو أن تكون مُحسنات سطحيّة لا تتصل بجوهر البلاغة، وليس من الخطأ في الدين، ولا في البلاغة، أن نقول: إنَّ القرآن يهتم بالناحية اللفظية؛ لأنّ الاهتمام باللفظ هو جزء من أسلوبه، ولأنَّها تتضمّن دواعي التأثير في المُتلقّي، وتلك وظيفة القرآن الكبرى، وغايتها: قيادة النفس الإنسانية إلى سبيل الخير، فمن الحتم أنْ تأخذ بكل سبيل الى هذه الغاية"[٥٨].

أثر الفاصلة في النسق القُرآني:

للفواصل الأثر الكبيرُ في تحقيق اتساق النص القُرآني، وذلك من خلال الإسهامِ في خلق جوٍّ من الترابط الموسيقي بين طائفة معينة من الآيات التي تحتوي عليها السورة الواحدة، أو كلِّها؛ ولاسيّما إذا ما علمنا أنَّ "التناسق الموسيقي بين الفواصل، وبين الجو الذي تُصوِّرُه الآيات، هو من أسرار القرآن وإعجازه البياني[٥٩]، فالقرآن لا يُعنى بموسيقى الفواصل بمعزل عن تناسقها مع سياق الآيات التي تُنتِجُ فيما بينها وحدة معنوية[٦٠].

وللفاصلة مزيّة مُهِمّة، هي فضلاً عن إيقاعها المُوسيقي المُؤثّر في النفس؛ نجدها ترتبط بما قبلها من الكلام؛ بحيث تنحدر على الاسماع انحدارًا، وكأنّ ما سبقها لم يكن إلا تمهيدًا لها بحيث لو طُرِحَته اختل المعنى في الآية، لذلك نجد الفواصل مُستقرة في أمكنتها، مُطمئنة في مواضعها، غير قلقة ولا نافرة[٦١]، ولهذا عُدّت وجهًا من وجوه الأعجاز القرآني..[٦٢].

واستئناسًا بما تقدّم؛ سعت الباحثة إلى تسليط الضوء على شبكة العلاقات الصوتية بين الفواصل المُتماثلة، وتوأمَتها بدلالة السياق في آيات السور القصار فنحن نلمس من فواصل تلك السور ايحاءات تنبعث من عنصرين: *سُمو النص القرآني، **والمُشاركة الوجدانية لدى المُتلقي..[٦٣].

وتشترك الفاصلة في قصار السور خاصة، مع أدوات أخرى: نحوية، ومعجمية، ودلالية.. تعمل معها على تحقيق التآلف والانسجام بين أجزاء الكلام في النص الواحد..

وهنالك ظاهرةٌ كثُرَ ورودُها في فواصلِ السُّور القُرآنيّة عمومًا، والسور القصار خصُوصًا، هي أنّ التبديل بين مُفردات الآيات، تقديمًا، وتأخيرًا، وحذفًا، أو زيادة، إنّما هو تبديلٌ طارئ؛ يقع مُتزامِنًا مع جرس الفواصل وتناسقها، بحيث يكون ذلك بأجمعه خادِمًا للمعنى.. وهذا ما نصّت عليه الدراسات قديمًا، وحديثًا[٦٤].

لقد رُوعِيَ في أغلب السُور القصار أنْ تُختتم آياتُها في المُقدمة بفواصل مُتماثِلة؛ تشويقًا لِمُتابعة الآيات، فإنّ ذلك التماثُل من شأنه أن يربط الآيات ببعضها، ويجعل النص العام الذي يحتوي عليها مُتماسِكًا..

إنّ القصد من ذكر هذه التفاصيل هو تبيان أنّ الفواصل في تماثُلِها، أو تقارُبِها مُوسيقيًّا، تأتي مُناسبة لشدّ النص المُترامي في المعنى.. فقد ترِد الآية مُفسّرة بعد حين، بمعانٍ تضمّنتها آيةٌ أخرى؛ لتأتي الفاصلة على ربطهما بموسيقى الفاصلة.

ولابن عاشور رأي في تعيين مقدار الآية، إذ إنّه يراه مُتعلّقًا بانتهاء نزولها، وهذا يعني تعيين زمنها المُرتبط بالحادثة أو المُناسبة التي وقعت فيها، فنغمة الفاصلة الموحدة مؤشِّر على ذلك في الغالب.. قال ابنُ عاشور: "وَأَنَا أَقُولُ: لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ تَعْيِينُ مِقْدَارِ الْآيَةِ تَبَعًا لِانْتِهَاءِ نُزُولِهَا، وَأَمَارَتُهُ وُقُوعُ الفاصلة"[٦٥].

ويستخلص ابن عاشور من ذلك أنّ الْفَوَاصِلَ كَلِمَاتٌ تَتَمَاثَلُ فِي أَوَاخِرِ حُرُوفِهَا أَوْ تَتَقَارَبُ، مَعَ تَمَاثُلِ أَوْ تَقَارُبِ صِيَغِ النُّطْقِ بِهَا وَتُكَرَّرُ فِي السُّورَةِ تَكَرُّرًا يُؤْذِنُ بِأَنَّ تَمَاثُلَهَا أَوْ تَقَارُبَهَا مَقْصُودٌ مِنَ النّظم فِي آيَاته كَثِيرَةٍ مُتَمَاثِلَةٍ، تَكْثُرُ وَتَقِلُّ، وَأَكْثَرُهَا قَرِيبٌ مِنَ الْأَسْجَاعِ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ. وَالْعِبْرَةُ فِيهَا بِتَمَاثُلِ صِيَغِ الْكَلِمَاتِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسُكُونٍ، وَهِيَ أَكْثَرُ شَبَهًا بِالْتِزَامِ مَا لَا يَلْزَمُ فِي الْقَوَافِي. وَأَكْثَرُهَا جَارٍ عَلَى أُسْلُوبِ الْأَسْجَاعِ.. وَالَّذِي يستخلصه أَيْضًا أَنَّ تِلْكَ الْفَوَاصِلَ كُلَّهَا مُنْتَهَى آيَاتٍ وَلَوْ كَانَ الْكَلَامُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ لَمْ يَتِمَّ فِيهِ الْغَرَضُ الْمَسُوقُ إِلَيْهِ[٦٦]..

مِمّا تقدّم يتضح أنّ ابن عاشور يرى أنّ الغرض المقصود من الكلام إذا انتهى، ولم تقع عنده الفاصلة؛ لم يكن ذلك دليلاً على نهاية آية، إلاّ نادرًا.. قال: "وَأَنَّهُ إِذَا انْتَهَى الْغَرَضُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْكَلَامِ وَلَمْ تَقَعْ عِنْدَ انْتِهَائِهِ فَاصِلَةٌ لَا يَكُونُ مُنْتَهَى الْكَلَامِ نِهَايَةَ آيَةٍ إِلَّا نَادِرًا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[٦٧]، فَهَذَا الْمِقْدَارُ عَدُّ آيَةٍ وَهُوَ لَمْ يَنْتَهِ بِفَاصِلَةٍ، وَمِثْلُهُ نَادِرٌ، فَإِنَّ فَوَاصِلَ تِلْكَ الْآيَاتِ الْوَاقِعَةِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ أُقِيمَتْ عَلَى حرف مَفْتُوح بعد أَلِفُ مَدٍّ بَعْدَهَا حَرْفٌ، مِثْلَ: شِقَاقٍ، مَنَاصٍ، كَذَّابٍ، عُجَابٍ.."[٦٨].

واستمر في تمثيله لتناسق الآيات من الناحية الصوتيّة الموسيقيّة، وعلاقة ذلك التناسق بالغرض الذي سِيقَ له الكلام، فقال: "وَفَوَاصِلُ بُنِيَتْ عَلَى حَرْفٍ مَضْمُومٍ مُشْبَعٍ بِوَاوٍ، أَوْ عَلَى حَرْفٍ مَكْسُورٍ مُشْبَعٍ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ حَرْفٌ، مِثْلَ: ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٦٩]، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾[٧٠]، ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٧١]، ﴿مِنْ طِينٍ﴾[٧٢].. فَلَوِ انْتَهَى الْغَرَضُ الَّذِي سِيقَ لَهُ الْكَلَامُ، وَكَانَتْ فَاصِلَةٌ تَأْتِي بَعْدَ انْتِهَاءِ الْكَلَامِ تَكُونُ الْآيَةُ غَيْرَ مُنْتَهِيَةٍ وَلَوْ طَالَتْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ((قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ)) إِلَى قَوْلِهِ: ((وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ))[٧٣].. فَهَذِهِ الْجُمَلُ كُلُّهَا عُدَّتْ آيَةً وَاحِدَةً."[٧٤].

وعدّ ابنُ عاشور الفواصل من أدلة الإعجاز في النظم القُرآني الموسيقي؛ لأنّ الموسيقى من أدوات تجويد الكلام، وذلك من شأنه التأثير في النفس، وما يُؤثِّر في النفس يعني البلاغة؛ لأنّه يبلغُها، ويصل إليها.. قال: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْفَوَاصِلَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْإِعْجَازِ؛ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مُحَسِّنَاتِ الْكَلَامِ وَهِيَ مِنْ جَانِبِ فَصَاحَةِ الْكَلَامِ، فَمِنَ الْغَرَضِ الْبَلَاغِيِّ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْفَوَاصِلِ لِتَقَعَ فِي الْأَسْمَاعِ فَتَتَأَثَّرَ نُفُوسُ السَّامِعِينَ بِمَحَاسِنِ ذَلِكَ التَّمَاثُلِ، كَمَا تَتَأَثَّرُ بِالْقَوَافِي فِي الشِّعْرِ وَبِالْأَسْجَاعِ فِي الْكَلَامِ الْمَسْجُوعِ.[٧٥]

وربط ابن عاشور انسجام الفواصل بتسلسل الكلام، وتتابُعِه، ومعناه، قال: "فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ* ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ*... ﴾[٧٦] إِلَى آخَرِ الْآيَاتِ.. فَقَوْلُهُ: (فِي الْحَمِيمِ) مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: (يُسْحَبُونَ)، وَقَوْلُهُ: (مِنْ دُونِ اللَّهِ) مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ (تُشْرِكُونَ). وَيَنْبَغِي الْوَقْفُ عِنْدَ نِهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا"[٧٧]..

وأمّا إهمال الوقف، وعدمُ مُراعاته في أثناء تلاوة القرآن؛ فأمرُه يُشبه أمر شاعر لا يُحسن الإلقاء، قال ابنُ عاشور: "أَلَا تَرَى أَنَّ مِنَ الْإِضَاعَةِ لِدَقَائِقِ الشِّعْرِ أَنْ يُلْقِيَهُ مُلْقِيهِ عَلَى مَسَامِعِ النَّاسِ دُونَ وَقْفٍ عِنْدَ قَوَافِيهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِضَاعَةٌ لِجُهُودِ الشُّعَرَاءِ، وَتَغْطِيَةٌ عَلَى مَحَاسِنِ الشِّعْرِ، وَإِلْحَاقٌ لِلشِّعْرِ بالنثر. وإنّ الْفَاء السَّجْعِ دُونَ وُقُوفٍ عِنْدَ أَسْجَاعِهِ هُوَ كَذَلِكَ لَا مَحَالَةَ. وَمِنَ السَّذَاجَةِ أَنْ يَنْصَرِفَ مُلْقِي الْكَلَامِ عَنْ مُحَافَظَةِ هَذِهِ الدَّقَائِقِ فَيَكُونَ مُضَيِّعًا لِأَمْرٍ نَفِيسٍ أَجْهَدَ فِيهِ قَائِلُهُ نَفْسَهَ وَعِنَايَتَهُ. وَالْعِلَّةُ بِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلسَّامِعِينَ مَعَانِيَ الْكَلَامِ، فُضُولٌ، فَإِنَّ الْبَيَانَ وَظِيفَةُ مُلْقِي دَرْسٍ لَا وَظِيفَةُ مُنْشِدِ الشِّعْرِ، وَلَوْ كَانَ هُوَ الشَّاعِرَ نَفْسَهُ"[٧٨].. ويرى آخرون أنّ الوقف فيه تمام المعنى، وتعيينه، بل أكثر من ذلك هو عند المُحدِّثين سُنّة مُتَّبَعَة"[٧٩].

وتفاوُتُ آيات القُرآن من حيث مقادير الكلمات "تَابِعٌ لِمَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُ الْبَلَاغَةِ مِنْ مَوَاقِعِ كَلِمَاتِ الْفَوَاصِلِ عَلَى حَسَبِ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْكَلَامِ".[٨٠]

وَأَطْوَلُ آيَةٍ وردت في القرآن هي الآية الخامسة والعشرون من سورة الفتح: ((هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ...إِلَى قَوْلِهِ: وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً))، وَالآية الثانية بعد المئة من سورة البقرة: ((وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ... إِلَى قَوْلِهِ تعالى: لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ)).. وَأَقْصَرُ آيَةٍ فِي عَدَدِ الْكَلِمَاتِ الآية الرابعة والستون من سورة الرحمن: ((مُدْهامَّتانِ)).. وَفِي عَدَدِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الآية الأولى من سورة (طه)[٨١].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الوقفات قَدْ لَا تُسَايِرُ نِهَايَاتِ الْآيَاتِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ عِدَّةُ وقفات، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ((إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ)) (وَقْفٌ) ((وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَراتٍ مِنْ أَكْمامِها وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)) (وَقْفٌ) ((وَيَوْمَ يُنادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكائِي قالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ)) (وَقْفٌ، وَمُنْتَهَى الْآيَةِ) فِي الآية السابعة والأربعين من سورة فُصِّلَتْ.[٨٢].

فموضوع الوقف . إذن . جُزء من موضوع الفاصلة، والفاصلة كالعاقدة للمعاني، قبل أن تكون زينة للكلام؛ إذ ليس في تقفية الفواصل في القرآن تكلُّف، ولا تنطبق عليها قاعدة قطعيّة، فهي من سابقات القرآن، وفرائده. فقد ترد بعضُ الفواصِل مُتماثِلة، وبعضُها غير مُتماثل، لكنّها في النهاية مُتناغمة مع المعنى في السياق؛ بحيث لا يستطيع أحدٌ زحزحتها، أو تغيير مكانها، أو استبدالها، مهما أوتي من الفصاحة والبيان، وفي ذلك إعجاز للبشر، أيّما إعجاز.[٨٣].

*أمثلة الفاصلة في قصار السُور:

قد تأتي الفاصلة بهيأة كلمة حقها أن تتأخّر في ترتيب الجُملة المنطقي، وذلك لغاية معنوية وموسيقيّة مُتعلّقة بالسياق، فإنّ عدم ورود هذا التقديم المسمّى بـ(تقديم رعاية الفاصلة) هو الأكثر في آيات القرآن، بمعنى أنّ مجيء الجُمل القرآنيّة على فاصلة واحدة مُوافقة من حيث الترتيب المنطقي لترتيب أجزاء الجُملة المعهود في الكلام، هو المُسيطر على أسلوبية النسق القُرآني.. فتقديم الرعاية هو تقديم جمالي . وظيفي يتطلبه النص المُبدع.. هو تقديم لا يُهدَرُ فيه المعنى من أجل ربح الموسيقى.. من ذلك أنّك تجد الفواصل تطغى على جو النص في سورة (ق) متناوبة بين الدّال والجيم، المَسبُوقتين بالمد اليائيّ غالبًا؛ وإنّما قلنا: غالبًا؛ لأنّ المد الواوي يتخللها أحيانًا.. على أنّ تقديم رعاية الفاصلة قد ورد في موضعين من السورة، (أحدُهُما): في: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ[١٧] مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[١٨]﴾.. ذكر ابنُ عاشور أنّ (قعيد) مُقدّم على مُتعلّقه لتوكيد دلالة الإحاطة بجانبيه اليمين والشمال، ولمُراعاة الفاصلة[٨٤]، فالانسجام على ما ترى معنوي موسيقي، قدّم فيه ابن عاشور العِلّة المعنويّة على العلّة المُوسيقيّة؛ لتوكيد أنّ الفاصلة تقع في القرآن لخدمة المعنى في المقام الأول. بخلاف النسق الأدبي المنثور، الذي قد يؤتى فيه بشيء تتحقّقُ به الموسيقى، ويُهدر المعنى.. و(الآخر): في السورة نفسها: الآية التاسع عشرة: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ[١٩]﴾.. قال: "وَتَقْدِيمُ (مِنْهُ) عَلَى (تَحِيدُ) لِلِاهْتِمَامِ بِمَا مِنْهُ الْحِيَادُ، وَلِلرِّعَايَةِ على الفاصلة"[٨٥].. قدّم المعنى على الموسيقى للغرض المذكور في المثل السابق... ومثله ما جاء في الآية الحادية والعشرين من سورة الذاريات: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ [٢١]﴾ وردَ "تَقْدِيمُ (فِي أَنْفُسِكُمْ) عَلَى مُتَعَلِّقِهِ لِلِاهْتِمَامِ بِالنَّظَرِ فِي خَلْقِ أَنْفُسِهِمْ وَلِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ."[٨٦].

ويأتي التذييل بما يُشبه المثل مُناسِبًا بإيقاعه مضمون الآية الحادية والثلاثين من سورة الطور:﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ ومن حيث الإيذان بالانتقال من غرض إلى غرض.[٨٧].

وتوحي مُوسيقى الفاصلة في الآية الرابعة والثلاثين من سورة الطور: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ بوجود علاقة معنوية مع الفاصلة في الآية الحادية والثلاثين التي قبلها: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ فكلّ منهما في جملة بمنزلة التَّذْيِيلِ، وفي كلتيهما ما يُنبئ عن نِهَايَة غَرَضٍ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهُ شُرُوعٌ فِي غَرَضٍ آخَرَ.[٨٨]

وتطغى الفاصلة المديّة بالألف على سورة النجم، من مبدئها إلى مُنتهاها، مُحدِثةً إيقاعًا مُستمرًا يُشعرُ منه معنى الاقتدار، فالألف قيوم الحروف ورئيسها، وتبدأ سورة النجم بقوله تعالى: ((والنجم إذا هوى)) وتنتهي بقوله تعالى: ((فاسجدوا لله واعبدوا)).. وأمّا مواطن القدرة التي توحي بها آيات السورة؛ فيُستدل عليها من فواصل آياتها: ﴿والنجم إذا هوى[١]﴾، ﴿علّمه شديد القوى[٥]﴾، ﴿ذو مِرّةٍ فاستوى[٦]﴾... إلخ.. وذكر ابن عاشور أنّ تقديم الضحك على البُكا في الآية الثالثة والأربعين: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ فيه امتنان بِزِيَادَةِ التَّنْبِيهِ عَلَى الْقُدْرَةِ وَحَصَلَ بِذَلِكَ مُرَاعَاةُ الْفَاصِلَةِ[٨٩] على أنّ هناك مُضارعة مُوسيقيّة شاملة تُلحظ في فواصل آيات سورة النجم، تؤازرها وحدة الموضوع، وقد

أشار المُفسِّرُ إلى تلك المُضارعة في أثناء كلامه على الآية الثالثة والأربعين من السورة.. قال: "وَلِذَلِكَ قَدَّمَ (أَماتَ) عَلَى (أَحْيا)، مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي (أَضْحَكَ وَأَبْكى)"[٩٠].

ولن تجد في نَظْمٍ، أو كتابةٍ، تَضرُّعًا مُفعمًا بالشجن، أكثر من قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ[١٠] فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ[١١] وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ[١٢] وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ[١٣] تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ[١٤]﴾.. وما أجملها فاصلة أشار إلى كمالِهَا الطاهرُ، إذ قال: "وَحَذَفَ مُتَعَلِّقَ فَانْتَصِرْ لِلْإِيجَازِ وَلِلرَّعْيِ عَلَى الْفَاصِلَةِ وَالتَّقْدِيرُ: فَانْتَصِرْ لِي، أَيِ انْصُرْنِي."[٩١]

وتأتي موسيقى الفاصلة على وفق القرائن مُنسجمة في الآية الخامسة والأربعين: ﴿وأنّه خلق الزوجين الذكر والأنثى[٤٥]﴾ مع قوله تعالى: ﴿من نُطفَةٍ إذا تُمنى[٤٦]﴾، وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وأنّ عليه النشأةَ الأخرى[٤٧]﴾ .. إذ ليس من الافتعال تقديم (عليه) في الآية السابعة والأربعين لأجل رعاية الفاصِلة؛ لأنّ الباحثة لا ترى بُدًا إلاّ أن تقع (عليه) موقعها، فإنّك إن اقترحت بديلاً عن التقديم بالتأخير؛ لامتنع عليك ذلك، حتى مع انتفاء شرط الحفاظ على موسيقى الفاصلة أو إيقاعها؛ لأنّ المعنى لا ينتظم في الآية بغير التقديم. ولك أن تتخيل كيف سيكون الحال بغير ذلك..

ومثل هذا يتكرر في مواضع شتى، منها الآتي:

*(مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ): بَيَانٌ لِـ(زَوْجانِ) مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُبَيِّنِ لِرَعْيِ الْفَاصِلَةِ[٩٢].

*(وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ): تَقْدِيمُ (إِلَيْهِ) عَلَى الْمَصِيرُ لِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ مَعَ إِفَادَةِ الِاهْتِمَامِ بِتَعَلُّقِ ذَلِكَ الْمَصِيرِ بِتَصَرُّفِ اللَّهِ الْمَحْضِ.[٩٣]

*(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ): تَقْدِيمُ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي جُمْلَةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لِيَتَأَتَّى تَنْكِيرُ المبتدأ، وَلِإِفَادَةِ الْاهْتِمَامِ، وَلِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ وَهِيَ نكت كَثِيرَة.[٩٤]

*(وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ): وَحُذِفَتْ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ نَذِيرِي تَخْفِيفًا وَلِلرَّعْيِ عَلَى الْفَاصِلَةِ[٩٥].

*(وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ): ((وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)) لِلْاهْتِمَامِ وَالرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ، وَلَيْسَ لِلْاخْتِصَاصِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُواْ يَدَّعُونَ الْحَشْرَ أَصْلًا فَضْلًا عَنْ أَنْ يَدَّعُوهُ لغير الله.[٩٦]

*(وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ): تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى الْعَامِلِ لِلْاهْتِمَامِ بِإِخْطَارِهِ وَلِلرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ[٩٧].

* (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ): تَقْدِيمُ الْجَحِيمَ عَلَى عَامِلِهِ لِتَعْجِيلِ الْمَسَاءَةِ مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ وَكَذَلِكَ تَقْدِيمُ فِي سِلْسِلَةٍ على عَامله[٩٨].

*(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا): لَمْ يُخْبَرْ عَنِ الشَّمْسِ بِالضِّيَاءِ كَمَا فِي الآيَةِ الخامسة من سُورَةِ يُونُسَ: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً)، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِضَاءَةُ، فَلَعَلَّ إِيثَارَ السِّرَاجِ هُنَا لِمُقَارَبَةِ تَعْبِيرِ نُوحٍ فِي لُغَتِهِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ، لِأَنَّ الْفَوَاصِلَ الَّتِي قَبْلَهَا جَاءَتْ عَلَى حُرُوفٍ صَحِيحَةٍ، وَلَوْ قِيلَ: ضِيَاءً لَصَارَتِ الْفَاصِلَةُ هَمْزَةً وَالْهَمْزَةُ قَرِيبَةٌ مِنْ حُرُوفِ الْعِلَّةِ فَيَثْقُلُ الْوَقْفُ عَلَيْهَا[٩٩].

*(ولربك فاصبر): تَقْدِيمُ (لِرَبِّكَ) عَلَى (اصْبِرْ) لِلِاهْتِمَامِ بِالْأُمُورِ الَّتِي يَصْبِرُ لِأَجْلِهَا مَعَ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمُ اللَّامَ فِي لِرَبِّكَ لَامَ التَّعْلِيلِ، أَيْ اصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ لِأَجْلِهِ.[١٠٠]

وغير ذلك كثير.. يأتي فيه توكيد المعنى بحيث يكون هو الشاغل وهو موضع الاهتمام عند ابن عاشور، وفي كل مرة تأتي هذه الآيات بفواصلها دالةً على أنّ الموسيقى مُضارعة للمعنى، إن لم تكن من نتاجها، أو من توافُقٍ أوحَتْ به . أو فرضته . طبيعة النسق القرآني، وفي ذلك آيةُ الإعجاز.

المبحث الثالث

التكرار و التوازي

سنتناول في هذا المبحث الملامح الايقاعية للنسيج الصوتي في قصار السور من خلال التوازي والتكرار، وهي ملامح تستمد طاقتها من الايقاع الداخلي المُرتبط بأحداث السُّوَر، وذلك بِحُسبان مجموعة الدوال المُتآصرة فيها(١٠١).

إنّ البحث في الإيقاع الداخلي له ما يُسوِّغُهُ في البحث الأسلوبي؛ لأنّ الايقاع الخارجي يعمل على الوصول إلى الإيقاع الداخلي العميق في النص الأدبي.. وهذا الإجراء يقُودُنا إلى فهم الخصائص الأسلوبية لظاهرتي التوازي والتكرار(١٠٢)، فالتوازي: "مركب ثنائي، أحد طرفيه لا يُعرَف إلاّ بالآخر، وهذا الآخر – من جهته – يرتبط مع الأول بعلاقة اقرب إلى التشابه، فهو ليس من التطابق التام، ولا من التباين التام.. إنّ الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول، ولأنّهما – في نهاية المطاف – طرفا معادلة، وليسا مُتطابقين تمامًا؛ فإنّنا نعود إلى المُكافأة بينهما على نحو من الأنحاء، فنحاكم الطرف الأول منهما بمنطق الطرف الثاني، وخصائصه، وسلوكه، وقد نفعل العكس، فنحاكم الطرف الثاني بمنطق الطرف الأول، وخصائصه، وسلوكه.(١٠٣) فالتوازي . اذن . يقوم على أساس (التماثل)، وليس (التطابق)،(١٠٤) وهو على وفق هذه المُسلَّمة يعكس التكرار القائم على التطابق التام بين وحداته، فالتماثل أرحب من التطابق، فان كل تطابق تماثل، ولكن ليس كل تماثل تطابقًا، ومن ثم لا يكون التكرار والتوازي شيئًا واحدًا، إنّما التكرار هو أحد تجليات التوازي الكثيرة؛ لأنّ التماثل قسيمهما، وربما يمثل التكرار أقصى درجات التوازي(١٠٥)، فالتوازي سِمَة إيقاعية رحبة تكتنف الخطاب الشعري بمختلف قنواته، "وقلما يخلو أي شعر منها.. فهو متأتٍ – عادة – من الأفاق الحُرّة التي يمنحها المُنشئ لمواده(١٠٦).. فالمُتأمِّل في الهندسة الصوتية لبعض مقاطع النصوص الأدبية؛ يجدها زاخرَة بالتوازيات الصوتية المُنتظمة، مِمّا يخلق ذلك تساوقًا بين الإيقاع، والتركيب، فيما يُسمّى بـ(التوازي الايقاعي) الذي "يقوم على التقابل، أو التناقض بين جُملتين، أو بين مُستوَيَيْن تعبيريَيْن يشكلان وحدة الجُملة الايقاعية.(١٠٧)

وهناك توازيات (صوتية، تركيبية) اسهمت في إثراء البعد الدلالي للنص القُرآني؛ نتيجة للجمع بين أبنية مُتضادة لتحقيق توازٍ ايقاعي ينهض على التضاد والتقابل بين سياقَين، أو بنيتين كُلّيتَين، إحداهما بالأخرى، ضمن شبكة جديدة من العلاقات المُعتمدة على نظام فكري . فنّي مُبتكر[١٠٨]، فمن ألوان التوازي؛ تواز دقيق تكرّر أربع مرّات، في الآيات: (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠) من سورة القمر، وهو قريب من ناحية الصوت، والتركيب، إلى التكرار المحض: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ[١٧]﴾.. التوازي بين (الذِّكْر) و(المُدّكِر) في الآية، والتوكيد من ظاهر التقارب بين اللفظين شكلاً، ونطقًا ظاهر.. قال ابنُ عاشور: "ومُدَّكِرٍ أَصْلُهُ: مُذْتَكِرٌ مُفْتَعِلٌ مِنَ الذُّكْرِ بِضَمِّ الذَّالِ، وَهُوَ

التَّفَكُّرُ فِي الدَّلِيلِ فَقُلِبَتْ تَاءُ الِافْتِعَالِ دَالًا لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا، وَأُدْغِمَ الذَّالُ فِي الدَّالِ لِذَلِكَ، وَقِرَاءَةُ هَذِهِ الْآيَةِ مَرْوِيَّةٌ بِخُصُوصِهَا عَنِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١٠٩].. ويظهر التوازي بين الإثبات في صدر الآية: (ولَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ)، في مقابل الإنكار في فاصلة الآية: (فهل من مُدّكِر).! وتخطِيطُهُ يبدو من تقابل وحدتين صوتيتين مُتقاربتين، هكذا:

يسرنا القرآن للذِّكْر ⟵ فهل من مُدَّكِر

لقد حقق التقابل التركيبي إثباتًا، وإنكارًا، مع وقوع لفظين مُتقاربين، فيهما نوعان من التجانس، (أحدهما): له علاقة بوحدة الفاصلة القرآنية في كامل السورة تقريبًا، و(الآخر): له علاقة بالبناء الصوتي الداخلي للآية نفسها..

وإذا تقدّمنا في مُلاحقة المتتالية الأسلوبية لبناء المُتوازيات في السورة؛ نرصد تقنيات صوتية مُماثلة لِمَا تقدّم، مُتعلِّقة بتكرار الفقرات بين الآيات المُستمرة في المضمون والغاية، كما في الآيتين: (٣٦)، و(٣٧): ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ[٣٦] وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ[٣٧]﴾.. ففائدة التوازي . فيما يبدو . هو التوكيد.. إنّه هاهُنا بمنزلة من يتوعّد، فيقول: تمارى.. تمارى.. سترى عاقبة تَمارِيك.

وعزا ابنُ عاشور التكرير في الآيتين لمقام التوبيخ، قال: "وَمَقَامُ التَّوْبِيخِ وَالنَّعْيِ يَقْتَضِي التَّكْرِيرَ."[١١٠].

ويكشف التحليل الأسلوبي ببعده الصوتي النقاب عمّا يُسمى بالتوازي (المُتماثل)، أو (المُتقارب) في الآيات: (١٨)، و(٢١)، و(٣٠) من سورة القمر:

﴿كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ[١٨]﴾ ⟵ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ[٢١]﴾

⟵ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ[٣٠]﴾

وهناك علاقة وطيدة تجمع بين مفهومي التوازي والتوازن في الإيقاع القولي العام، فالتوازن: هو تعادل فقرات الكلام، وجُمَلِهِ، كما في النثر المُزدوج، أو شطري البيت الواحد، من حيث الإيقاع، والوزن، أمّا التوازي؛ فهو أن يستمر هذا التوازن في النص بأكمله.[١١١].. والتوازي بمفهومه البلاغي: اتفاق أواخر القرائن في الوزن والروي، وهذه القرائن: إمّا قصيرة، نحو قوله تعالى في سورة المُرسلات، في الآيتين: الأولى، والثانية: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً* فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾، أو متوسطة، كما في الآيتين: الأولى، والثانية، من السورة نفسها: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، أو طويلة، كما في الآية: (٤٣)، والآية: (٤٤) من سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا...﴾، و﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ ...﴾.. فالأرجح أنّ التوازي: تأليف ثنائي ليس مُتطابقًا، وكثير من بنى النص التي يحتوي عليها هذا التوازي هي بُنى مُتساوية، أو مُتكرِّرَة، بأيّ شكل كان.[١١٢]

أمّا التكرار؛ فإنّه يعمل على تجميع العناصر والوحدات في شبكة متماثلة، إذ إنّ ذلك أمرٌ جوهري في موسيقى الخطاب القرآني؛ لأنّ الخطاب القُرآني من أكثر الأشكال الأدبية اتصافاً بالانسجام، وأنّ النظام فيه يغلب عليه تكرار الوحدات الصوتية، وَزْنًا، أو إيقاعًا، أو فاصِلةً، فإنّ أيّ تكرار لوحدات الصوت يكون أكثر لفتًا للانتباه.[١١٣].

وللتكرار وظائف دلالية وايحائية، وهو عنصر مُهم في تشكيل موسيقى الخطاب في القُرآن ضمن قيم صوتية معينة، وتتجلّى فاعليتُه من الناحية الأسلوبيّة في السياقات وإيحاءاتها؛ لأنّها تؤثِّر في المُتلقي، وتجعله مشدُودًا إلى

التوقع، وهو إحساسٌ ينتمي إلى طبيعة اللغة الأدبيّة العالية عمومًا، لذلك تجده زاخِرًا في الشعر، إذ إنّ الشعر يقوم على الاستثارة، والتوتّر، والتوقُّع"[١١٤] ويزداد التكرار ذكاءً بمخالفته التوقُّع الكامن في الدلالة المشحونة.[١١٥].

وهنا لا بُد من الإشارة إلى أنّ التحليل الفني للتكرار، يخضع لأسلوب الباحث وذائقته، فمع ما يبدو من سمة علمية ظاهرة على كثير من التحليلات؛ هي في الحقيقة تحليلات ذوقيّة، ليس عليها قطعيّة، إذ لا نملك البرهنة على وجاهة بعض التحليلات لتكون في الصدارة[١١٦].

وأمّا التعقيب بالمُترادفات؛ فيُعدُّ أيضًا من أشكال التلوين الصوتي، وقد يقتضيه السياق لدفع السآمة، وقد مرّ بنا ذلك بشكل قد يبدو له علاقة مباشرة بالإيقاع، والعكس هو الصحيح.. قال ابنُ عاشور: "وَمِنْ أَسَالِيبِهِ مَا أُسَمِّيهِ بِالتَّفَنُّنِ وَهُوَ بَدَاعَةُ تَنَقُّلَاتِهِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ بِطَرَائِقِ الِاعْتِرَاض والتنظير والتذليل وَالْإِتْيَانِ بِالْمُتَرَادِفَاتِ عِنْدَ التَّكْرِيرِ تَجَنُّبًا لِثِقَلِ تَكْرِيرِ الْكَلِمِ"[١١٧].. فتلك إذن فائدة صوتية؛ لأنّ التكرير قد يسمج في السياقات التي ينبو فيها التماثل المُستمر، أو المُتقطّع..

وقال ابنُ عاشور: "إِنَّ بَلَاغَةَ الْكَلَامِ لَا تَنْحَصِرُ فِي أَحْوَالِ تَرَاكِيبِهِ اللَّفْظِيَّةِ، بَلْ تَتَجَاوَزُ إِلَى الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي تُؤَدَّى بِهَا تِلْكَ التَّرَاكِيبُ. فَإِنَّ سُكُوتَ الْمُتَكَلِّمِ الْبَلِيغِ فِي جُمْلَةٍ سُكُوتًا خَفِيفًا قَدْ يُفِيدُ مِنَ التَّشْوِيقِ إِلَى مَا يَأْتِي بَعْدَهُ مَا يُفِيدُهُ إِبْهَامُ بَعْضِ كَلَامِهِ ثُمَّ تَعْقِيبُهُ بِبَيَانِهِ، فَإِذَا كَانَ مِنْ مَوَاقِعِ الْبَلَاغَةِ نَحْوَ الْإِتْيَانِ بِلَفْظِ الِاسْتِئْنَافِ الْبَيَانِيِّ، فَإِنَّ السُّكُوتَ عِنْدَ كَلِمَةٍ وَتَعْقِيبَهَا بِمَا بَعْدَهَا يَجْعَلُ مَا بَعْدَهَا بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِئْنَافِ الْبَيَانِيِّ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ عَيْنَهُ، مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ((هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً))[١١٨] فَإِنَّ الْوَقْفَ عَلَى قَوْلِهِ (مُوسَى) يُحْدِثُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ تَرَقُّبًا لِمَا يُبَيِّنُ حَدِيثَ مُوسَى، فَإِذَا جَاءَ بَعْدَهُ إِذْ ناداهُ رَبُّهُ إِلَخْ حَصَلَ الْبَيَانُ مَعَ مَا يَحْصُلُ عِنْدَ الْوَقْفِ عَلَى كَلِمَةِ (مُوسَى) مِنْ قَرِينَةٍ مِنْ قَرَائِنِ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ عَلَى سَجْعَةِ الْأَلِفِ، مِثْلَ: (طُوىً) في الآية: ١٦، و(طَغى) في الآية: ١٧: ﴿اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، و(تَزَكَّى) في الآية: ١٨: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلاَّ أَنْ تَزَّكّى﴾...إِلَخْ.."[١١٩].. نستنتج من الكلام المُتقدّم؛ أنّ الوقف بخلاف التكرير، إذ ليس يحسن التكرير في كل موضع،

ومن التكرير ما هو مُمتنع، أو مُستكرَه، والحُكم بالكراهة، أو الامتناع، سببه معنوي، قد لا يكون منظورًا من المرّة الأولى بالنسبة إلى المُتلقّي، ويكون منظورًا عند أصحاب العلم المُستطيل..

لقد جرت العادة أن يكون التكرير محمودًا في المواضع البليغة، كالرثاء، والتوكيد، وغير ذلك، لكنّ ذلك لا يطّرِد، وقد عرض ابنُ عاشور لتلك الظاهرة في المسلك الثالث في صدر كتابه، فناقش (البسملة) من ناحية التكرير بالترادف، فقال: "وَأَمَّا الْمَسْلَكُ الثَّالِثُ، وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ مِنْ طَرِيقِ الِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ؛ فَيَأْتِي الْقَوْلُ فِيهِ عَلَى مُرَاعَاةِ قَوْلِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ (الْبَسْمَلَةَ) آيَةٌ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ خَاصَّةً، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ يَتَكَرَّرَ لَفْظَانِ وَهُمَا: (الرَّحْمنِ)، و(الرَّحِيمِ)، فِي كَلَامٍ غَيْرِ طَوِيلٍ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَصْلٌ كَثِيرٌ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْمَدُ فِي بَابِ الْبَلَاغَةِ، وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ نَقَلَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» وَأَجَابَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ التَّكْرَارَ لِأَجْلِ التَّأْكِيدِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّ تَأْكِيدَ كَوْنِهِ تَعَالَى رَحْمَانًا رَحِيمًا مِنْ أَعْظَمِ الْمُهِمَّاتِ. وَأَنَا أَدْفَعُ جَوَابَهُ بِأَنَّ التَّكْرَارَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ مَوَاقِعُ مَحْمُودَةٌ فِي الْكَلَامِ الْبَلِيغِ مِثْلَ التَّهْوِيلِ، وَمَقَامِ الرِّثَاءِ، أَوِ التَّعْدِيدِ، أَوِ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْفَاتِحَةَ لَا مُنَاسَبَةَ لَهَا بِأَغْرَاضِ التَّكْرِيرِ، وَلَا سِيَّمَا التَّوْكِيدُ؛ لِأَنَّهُ لَا مُنْكِرَ لِكَوْنِهِ تَعَالَى رَحْمَانًا رَحِيمًا، وَلِأَنَّ شَأْنَ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ أَنْ يَقْتَرِنَ فِيهِ اللَّفْظَانِ بِلَا فَصْلٍ؛ فَتَعَيَّنَ أَنَّهُ تَكْرِيرُ اللَّفْظِ فِي الْكَلَامِ لِوُجُودِ مُقْتَضَى التَّعْبِيرِ عَنْ مَدْلُولِهِ بِطَرِيقِ الِاسْمِ الظَّاهِرِ دُونَ الضَّمِيرِ، وَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِأَنْ يَبْعُدَ مَا بَيْنَ الْمُكَرَّرَيْنِ بُعْدًا

يُقْصِيهِ عَنِ السَّمْعِ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُمْ عَدُّوا فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ خُلُوصَهُ مِنْ كَثْرَةِ التَّكْرَارِ، وَالْقُرْبِ بَيْنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ حِينَ كُرِّرَا يَمْنَعُ ذَلِكَ"[١٢٠].

ومن أغراض التكرير في القرآن: طَرْدُ الْغَفْلَةِ، وَتَوكِيدُ الْحُجَّةِ.. وتأتي آيات سورة الرحمن، أغلبها مُناسبة للغرض المذكور، فضلاً عن تواتر حرف الروي الملحوظ على فواصل آياتها، إذ تميّزت تلك سورة (الرحمن) بفونيم التثنية: (جنتان)، (تُكذِّبان)، (تجريان)، (زوجان)[١٢١].

*وانظر التكرار في صيغة المثل، في قوله تعالى في سورة الرحمن أيضًا: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(٦٠)﴾.. وتكرّرت (تُكذبان) مع تكرار الآية برُمّتِها ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في إحدى وثلاثين موضعًا (إحدى وثلاثين آية)، بين آية وأخرى عاقدة وسطيّة.. قال ابنُ عاشور: "وَاعْتَرَضَ بِجُمْلَةِ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) بَيْنَ الْبَدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَبَيْنَ الصِّفَتَيْنِ، لِقَصْدِ التَّكْرِيرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَقْتَضِيهِ"[١٢٢].

ويرد التكرير في سورة الفجر: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(٢١)﴾ مشابِهًا لِقولك: ((قرأتُ النحو بابًا بابًا))؛ لإفادة التعقيب الزمني، والترتيب، والتصنيف[١٢٣]، وتلاها: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢)﴾.. صوتًا مُكرّرًا؛ للترتيب والتصنيف.. قال ابنُ عاشور: "التَّكْرِيرِ الْمُرَادِ بِهِ التَّرْتِيبُ وَالتَّصْنِيفُ، أَيْ: صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ"[١٢٤]..

ويأتي التكرير بالحرف، كقوله تعالى في سورة النور: ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ(٣٥)﴾.. إذ من عادة العرب أن لا تصف بالنفي إلاّ مع التكرير.. وقد سبق في سورة الواقعة مثل هذا: ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَصْفًا(٣٣)﴾.. أي: مبذولة.[١٢٥].

ويأتي التكرار مُتطابقًا بجذره، لا بصيغته، مرةً بالصفة، ومرّة بالفعل، كما في سورة المُرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢٩)﴾.. ويتكرر الصوت بطريقة مُماثِلَة في السورة نفسها: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ(٣٩)﴾، فهو تكرير لأجل التوبيخ[١٢٦].

وورد التكرار في القرآن بتعداد صفات الله في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٢٣)﴾.[١٢٧]

ومن ألفاظ التكرير في القرآن: (الكَرّة، والكرتين): ﴿ثُمَّ ارجِعْ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ..[١٢٨]﴾.. قال ابن عاشور: "وَأَصْلُ اسْتِعْمَالِ التَّثْنِيَةَ فِي مَعْنَى التَّكْرِيرِ أَنَّهُمُ اخْتَصَرُوا بِالتَّثْنِيَةِ تَعْدَادَ ذِكْرِ الاسْمِ تَعْدَادًا مُشِيرًا إِلَى التَّكْثِيرِ."[١٢٩]

وعلى هذا المنوال الآيات الآتية:

*سُورَة الطارق: ﴿فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا(١٧)﴾ بتكرير الصوتين للتوكيد، مع المُخالفة بين الفعلين، بالتعدية مرّة، وبالتضعيف مرّة.. قال ابن عاشور: "وأَمْهِلْهُمْ تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ لِقَصْدِ زِيَادَةِ التَّسْكِينِ، وَخُولِفَ بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ فِي التَّعْدِيَةِ مَرَّةً بِالتَّضْعِيفِ وَأُخْرَى بِالْهَمْزِ لِتَحْسِينِ التَّكْرِيرِ."[١٣٠]

*سورة الشرح: ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا(٥) إنّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا(٦)﴾.. تكرر الصوت المُجمل في الآيتين بإعادة الجملة الأولى؛ للتكثير.. قال ابنُ عاشور: "فَالتَّثْنِيَةُ هُنَا كِنَايَةٌ رَمْزِيَّةٌ عَنِ التَّغَلُّبِ وَالرُّجْحَانِ فَإِنَّ التَّثْنِيَةَ قَدْ يُكَنَّى بِهَا عَنِ التَّكْرِيرِ الْمُرَادِ مِنْهُ التَّكْثِيرُ.."[١٣١]

* سورة العلق: ﴿أرأيت الذي ينهى(٩) عبدًا إذا صلّى(١٠) أرأيت إن كان على الهُدَى(١١)﴾.. تكرّر الصوت في الفاصلة؛ للتعجيب..

قال ابن عاشور: "وَفُصِلَتْ جُمْلَةُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى لِوُقُوعِهَا مَوْقِعَ التَّكْرِيرِ لِأَنَّ فِيهَا تَكْرِيرَ التَّعْجِيبِ مِنْ أَحْوَالِ عَدِيدَةٍ لشخص وَاحِد"[١٣٢].

* سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾..

قال: "وَإِظْهَارُ لَفْظِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ لِلِاهْتِمَامِ، وَقد تكَرّر هَذَا اللَّفْظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالْمَرَّاتُ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي عِنْدَهَا التَّكْرِيرُ غَالِبًا"[١٣٣]

* سورة التكاثر: ﴿كلاّ سوف تعلمون(٣) ثم كلا سوف تعلمون﴾.. عطف الأصوات المكررة على بعضها بالتراخي؛ لأجل التهويل..

قال: "وَأُكِّدَ الزَّجْرُ وَالْوَعِيدُ بِقَوْلِهِ: ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ فَعَطَفَ عَطْفًا لَفْظِيًّا بِحَرْفِ التَّرَاخِي أَيْضًا لِلْإِشَارَةِ إِلَى تَرَاخِي رُتْبَةِ هَذَا الزَّجْرِ وَالْوَعِيدِ عَنْ رُتْبَةِ الزَّجْرِ وَالْوَعِيدِ الَّذِي قَبْلَهُ، فَهَذَا زَجْرٌ وَوَعِيدٌ مُمَاثِلٌ لِلْأَوَّلِ لَكِنْ عَطْفُهُ بِحَرْفِ ثُمَّ اقْتَضَى كَوْنَهُ أَقْوَى مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَفَادَ تَحْقِيقَ الْأَوَّلِ وَتَهْوِيلَهُ."[١٣٤].

ويبدو من مُجمل ما عالجه الطاهر أنّ التوازي والتكرير قابلان للتوجيه بالتحليل الصوتي المُعاصر، فإنّ أغلب اهتمامات الطاهر كانت في اتجاه التركيب، والدلالة، والبيان، على أنّ الصوت يقع في ضمن ذلك؛ لأنّ الصوت في أيسر صُوَرِهِ له يتمثّل بالحرف، ومُصغّرُه في الحركة (الصُّوَيت)، فإنّ التماثل (التوازي) والتطابق (التكرار) قد وَرَدَا في (التحرير والتنوير) مُشتملَيْن على جميع البُنى بما في ذلك الحركات، وما يتصل بالأداء النُطقي وَصْلاً، وَوَقْفًا، فإنّ الوصل، والوقف، مِن مُحوّلات المعنى، وهذا بأجمعه، تُعنى به الأسلوبية في مستواها الصوتي، فضلاً عن عنايتها بآليات تحليل الجُملة، والكلمة، وما يتعلّق بالكلمة من (الفونيم Phoneme) أو (الأصوات الأصول)، ثُمّ طرق الأداء النُطقي المُختلفة له في (الألوفونAllophone)، أو ما يُسمى بـ(الأصوات الفروع)؛[١٣٥] للوصول إلى مكامن الإعجاز القُرآني، وجمالياته.

.....

الخاتمة

وفي نهاية البحث وصلنا الى جملة من النتائج وهي :

لم يترك ابن عاشور شيئًا من مظان الأسلوبية، أو مباحثها، إلاّ خاض في غماره، بل قد يزيد على ما جمعه من التراث شيئًا من عنده سمحت به قريحته وذائقته، ومعرفته، وإنّما صحّت له الزيادة، والتعليق، والتصحيح غالِبًا؛ فهو ، فضلاً عن سعة اطلاعه؛ كان مُجدِّدا بِصِلُ القديم بالحديث، ومن جُملة ذلك عنايتُه بتضمين التفسير العلمي في التفسير البياني، وهذا أسلوب قد يفتقر إليه التفسير التراثي..

* اعتمد الطاهر بن عاشور اعتمادًا كبيرًا على كشاف الزمخشري . فضلاً عن الكتب الأخرى التي ذكرناها . إذ كان المنهج العقلي سابغًا على تفسيره (التحرير والتنوير)،

* من ملامح الأسلوبيّة التي وقف عندها ابن عاشور، عنايته بمواطن (القصدية) في اختيار اللفظ القرآني، كتفريقه بين المادي، والمحسوس، فاستعارة لفظ (اللمس) . مثلاً . في قوله تعالى في سورة الجن: وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا(٨) الذي يعني الجس باليد، مُضارِعٌ للفظ (المس) الوارد في الشعر على لسان بعض الشعراء ، وهذا أسلوب أراد به ابنُ عاشور إثبات موجود غير مُنكر عند العرب، ومثل هذا كثيرٌ جدًا في تفسيره، وبهذا يتكشّف النقاب عن ملمح اجتماعي مَفادُه أنّ العاطفة لا يُمكن أن تكون مُستقلة عن العقل، فتقريب المعنى الغامض بصورة من صُوَرِ حياة الإنسان، ومشاعره، وبيئته، أمرٌ ظاهر جدًا في أسلوب ابن عاشور، ولعلَ مِنْ لَطَائِفِ الإعجاز البياني المُستحقة للذكر هاهُنا، تمثيل الطاهر خفاء قرب الله . تعالى من الإنسان، بخفاء حَبْلَ الْوَرِيدِ في جسده، وَبِذَلِكَ فاقَ هذا التشبيه كُلَّ صُوَرِ التشبيه الواردة فِي كَلَامِ الْبُلَغَاءِ.

* انماز ابن عاشور في تفسيره بتوظيف الموروث الأدبي، من شعر ونثر، في دراسة النص القرآني، فإنّ التحليلات الأسلوبية الخاصة به، لا نجدها مبثوثة بهذه السعة عند كثير من المُفسرين، فضلاً عن المُحدثين.

* في المبحث الصوتي الصرفي، سخّر الطاهر مُصطلح (الإبدال) في مواضع مُختلفة من تفسيره لمعنى لا علاقة له بالصوت مُباشرةً، ولكن لما له صِلة بالتكرار اللفظي، أو المعنوي، وما يحيط بهذا من ظِلال معنويّة موسيقيّة، وذلك؛ لأنّ ابن عاشور كان منصرِفًا إلى إظهار جماليات النص القُرآني من الناحية البيانية، وإن كان للصوت في ذلك نصيب؛ فهو قليل من حيث النسبة إلى ما ذكرنا من الغاية الرئيسة من تفسيره، وكان للمُخالفة، والمُماثلة، نصيب وافر ومهم من تحليلاته.

* وفي السياق المُتعلّق بالمبحث الصوتي، تطرّق الطاهر إلى الأثر الإيحائي للفاصلة القُرآنية، وظهر لنا أنّ ابن عاشور على الرغم من إيلائه (الفاصلة) عنايته الكبيرة في التحليل الأسلوبي؛ لم تكن عنده مُقدّمة على المعنى، بل خادمة له، إذ لا تكاد ترى شيئا يتعلق بالموسيقى، أو بالتشويق الذي يتركه حرف الروي في مُفردة ما.

* وفي موضوع متَّصِل بالمبحث الصوتي الصرفي، تبرز عناية الطاهر بمبحث التكرار و التوازي ، فالتوزي الذي يُمثّله التماثل عند ابن عاشور، أكثر رحابة من التكرار الذي يُمثله التطابق، وقد وافق في هذا الأسلوبية التي عليها اغلب المُحدثين.

الهوامش

[1] ينظر: الانساق الصوتية في سورة الانسان دراسة لغوية في ضوء اللسانيات المعاصرة رسالة لبشائر علي جاسم ،جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية ، ٢٠١٧ ،ص٣٧.

[2] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣. ١٩٧٩، ص١٣٦/١٣٨.

[3] ينظر : المزهر في علوم اللغة وانواعها ،عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ،تح : فواد علي منصور ، درا الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٩٨ط،١،ص١٣٩.

[4] ينظر علم اللغة مقدمة للقارى العربي ،محمود السعران ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،ط٢، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٥

[5]الأصوات وأثرها في تغيير بنية الكلمة العربية (رسالة)، دراسة وصفية لغوية في مجمع الامثال للميداني، ابتسام حبيب ميرغني عوض الكريم، جامعة أم درمان الاسلامية ،٢٠٠٩م، ص١٤١

[6]الأصوات اللغوية: ابراهيم أنيس، ص١٧٩، وأثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، أربد . الأردن، ٢٠١١م، ص٤٠

[7]يُنظر: الأصوات اللغوية، ص٢١٤، وتجليات ظاهرة التخالف الصّوتي في اللغة العربية: سهل ليلى، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الرابع، ص٧.

[8]يُنظر في ذلك: اللغة، فندريس، ص٩٤، ودراسات لغوية في تراثنا القديم، لصبحي التميمي، ص١٧٦، وتجليات ظاهرة التخالف الصّوتي في اللغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الرابع، ص٩. ودراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ٣٢٩.. وعلم اللغة: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط٩، بلا تاريخ، ص٢٩٩-٣٠٠.. ويُنظر: الأصوات اللغوية: محمد علي الخولي، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ١١٨٧م، ص٢٢٥.

[9]الأصوات اللغوية : عبد القادر عبد الجليل، ص٢٩٩. و(الادغام في ضوء الحديث . رسالة . وجدان عبد اللطيف موسى الشمايله، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢م) ص٧.

[10]اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٧٩، ص٢٨٩، و(الادغام في ضوء الحديث)، ص٣٧

[11]) التحرير والتنوير:٢/٢٤٤.

[12]) المصدر نفسه:٢/٢٤٤.

[13]) أَيْ: "تَكْرَارِ لَفْظِ الْبَدَلِ وَلَفْظِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ وَعَنَى بِالتَّكْرِيرِ مَا يُفِيدُهُ الْبَدَلُ عِنْدَ النُّحَاةِ مِنْ تَكْرِيرِ الْعَامِلِ وَهُوَ الَّذِي مَهَّدَ لَهُ فِي صَدْرِ كَلَامِهِ بِقَوْلِهِ: «وَهُوَ فِي حُكْمِ تَكْرِيرِ الْعَامِلِ كَأَنَّهُ قِيلَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اهْدِنَا صِرَاطَ الَّذِينَ، وَسَمَّاهُ تَكْرِيرًا لِأَنَّهُ إِعَادَةٌ لِلَّفْظِ بِعَيْنِهِ، بِخِلَافِ إِعَادَةِ لَفْظِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ فَإِنَّهُ إِعَادَةٌ لَهُ بِمَا يَتَّحِدُ مَعَ مَا صَدَقَهُ فَلِذَلِكَ عَبَّرَ بِالتَّكْرِيرِ وَبِالتَّثْنِيَةِ، وَمُرَادُهُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْبَدَلِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ إِعَادَةُ لَفْظِ الْمُبْدَلِ مِنْهُ يُفِيدُ فَائِدَةَ الْبَدَلِ وَفَائِدَةَ التَّوْكِيدِ اللَّفْظِيِّ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لَا يَتَأَتَّى عَلَى وَجْهٍ مُعْتَبَرٍ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ إِلَّا بِهَذَا الصَّوْغِ الْبَدِيعِ.". التحرير والتنوير:١/١٩٢

[14]) نوح:٢٣.

[15]) الانفطار:١٨،١٧.

[16]) التحرير والتنوير: ٢٩/٢٠٩.

[17]) البروج:١٧.١٨.

[18]) ص:٦.

[١٩]) التحرير والتنوير:٢٥١/٣٠.

[٢٠]) العلق:٥.١.

[٢١]) قال: "فَفِي الْإِجْمَالِ إِحْضَارٌ لِلدَّلِيلِ مَعَ الِاخْتِصَارِ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِفَادَةِ التَّعْمِيمِ، ثُمَّ يَكُونُ التَّفْصِيلُ بَعْدَ ذَلِكَ لِزِيَادَةِ تَقْرِيرِ الدَّلِيلِ.. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بَيَانًا مِنَ الَّذِي خَلَقَ إِذَا قُدِّرَ لِفِعْلِ خَلَقَ الْأَوَّلِ مَفْعُولٌ دَلَّ عَلَيْهِ بَيَانُهُ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ.. وَعَدَمُ ذِكْرِ مَفْعُولٍ لِفِعْلِ خَلَقَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِتَنْزِيلِ الْفِعْلِ مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ، أَيِ: الَّذِي هُوَ الْخَالِقُ، وَأَنْ يَكُونَ حَذْفُ الْمَفْعُولِ لِإِرَادَةِ الْعُمُومِ، أَيْ: خَلَقَ كُلَّ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ: الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ اعْتِمَادًا عَلَى مَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ خَلَقَ الْإِنْسانَ..."..التحرير والتنوير):٤٢٧/٣٠.

[٢٢]) التحرير والتنوير:٤٩٩/٣٠.

[٢٣]) عبس:١٥.

[٢٤]) التحرير والتنوير:١١٨/٣٠.

[٢٥]) الطور:٢١.

[٢٦]) التحرير والتنوير:٥٠/٢٧.

[٢٧]) الكافرون:٤.١.

[٢٨]) التحرير والتنوير:٥٨٣/٣٠.

[٢٩]) المصدر نفسه:٥٨٣/٣٠.

[٣٠]) التحريم:٥.

[٣١]) التحرير والتنوير:٣٦١/٢٨.

[٣٢]) نوح:٢٦.

[٣٣]) التحرير والتنوير: ٢١٣/٢٩.

[٣٤]) المصدر نفسه:٢٥٩/٢٩.

[٣٥]) نفسه:٢٩٤/٢٩.

[٣٦]) الحشر:٤.

[٣٧]) التحرير والتنوير:٧٥/٢٨.

[٣٨]) الآية:٢١٧.

[٣٩]) التحرير والتنوير:٧٥/٢٨.

[٤٠]) الإنسان:٤

[٤١]) التحرير والتنوير:٣٧٧/٢٩.

[٤٢]) المصدر نفسه:٣٧٧/٢٩.

[٤٣]) الآية:٤.

[٤٤]) التحرير والتنوير:٢٥٨/٢٨.

[٤٥]) الأعلى:١٤.

[٤٦]) التحرير والتنوير:٧٦/٣٠.. ويُنظر مثل ذلك ما جاء في (إيابهم)، سورة الغاشية: ((إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ)[الآية:٢٥]:٢٠٩/٣٠. وما جاء في أصل (صُحُف) في سورة الأعلى، الآية: ١٩، التحرير والتنوير:٢٩١/٣٠.

[٤٧]) يُنظر: لسان العرب: [فصل] ٣٤٢٢/٥.

[٤٨]) معجم مقاييس اللغة: ٨٤٧.

[٤٩]) المصباح المنير: ٢٨٢.

[٥٠]) يُنظر: الفاصلة القرآنية وجماليتها في سورة طه والرحمن، رسالة ماجستير، بن يمينة جميلة، كلية الآداب والفنون، الجزائر، ٢٠١٣م، ص٣٥، ويُنظر: الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص٦٥، و جمال الفاصلة في القرآن (بحث) للدكتور عبد القادر بن فطة، الجزائر، ص١.

[٥١]) موسيقى الشعر: ابراهيم أنيس، ص٣٠٦، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢، وجمال الفاصلة في القرآن: ص١.

[٥٢]) جمال الفاصلة في القرآن، ص٢.

[٥٣]) التحرير والتنوير:١٠٧/١، والتفسير المُنير:٢١٦/١٤.

[٥٤]) يُنظر: دراسات قرآنية في جزء عمَّ / محمود أحمد نحلة / ١٠٩. والآيات القرآنية المتعلقة بالرسول (ص) دراسة بلاغية وأسلوبية، عدنان الجُميلي، أطروحة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص١.

[٥٥]) يُنظر: دليل الدراسات الأسلوبية / جوزيف ميشال شريم / ١١٠ ، وينظر: النظم القرآني في تفسير القرطبي دراسة أسلوبية / السيد عبدالسميع حسونة / مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ دبي/ ع٢١ / ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، ص٥٩.

[٥٦]) يُنظر: البلاغة والأسلوبية / محمد عبد المطلب / ١٤٥.

[٥٧]) من بلاغة القرآن / أحمد أحمد بدوي / ١٠٥، وينظر: الإعجاز الفني في القرآن / عمر السلامي / ٧٣.. والآيات المتعلقة بالرسول (ص)، ص٢.

[٥٨]) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد حسين أبو موسى، ص٣٦٩، وينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن شرشر، ص٨٧.

[٥٩]) يُنظر: الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، (بحث)، د. كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد٩، ١ ايلول / ١٩٧٨: ٣٣٨ .

[٦٠]) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥١.

[٦١]) الجرس والايقاع في الفواصل القرآنية (بحث)، أنسام خضير خليل، ص٢٢١.

[٦٢]) يُنظر: جمال الفاصلة في القرآن، ص١.

[٦٣]) يُنظر: جمال الفاصلة في القرآن، ص١.

[٦٤]) يُنظر: التعبير القرآني: ٢١٨، والتفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ):٣٥/١، والبديع في ضوء أساليب القرآن:١٤٦. وفي البرهان، دعا الزركشي إلى عقد فصلٍ في ذلك أسماه (إيقاع المُناسبة)، قال فيه: "واعلم أنّ إيقاع المُناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطّرد متأكِّدٌ جدًا، ومُؤثرٌ في اعتدال نَسَق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع".. ينظر منه:٦٠/١.

[٦٥]) التحرير والتنوير:٧٥/١.

[٦٦]) المصدر نفسه:٧٥/١.

[٦٧]) (ص):١.

[٦٨]) التحرير والتنوير:٧٥/١.

[٦٩]) (ص):٦٨.

[٧٠]) الْإِسْرَاء:٤٧.

[٧١] الْأَعْرَاف:١٨٤.

[٧٢]) الْأَنْعَام:٢.

[٧٣]) (ص):٢٤.

[٧٤]) التحرير والتنوير:١/٧٥.

[٧٥]) التحرير والتنوير:١/٧٥.

[٧٦]) غافر:٧١.

[٧٧]) التحرير والتنوير:١/٧٦.

[٧٨]) المصدر نفسه:١/٧٦.

[٧٩]) وَفِي «الْإِتْقَانِ» عَنْ أَبِي عَمْرٍو قَالَ بَعْضُهُمْ: الْوَقْف على رُؤُوس الْآيِ سُنَّةٌ. وَفِيهِ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»: الْأَفْضَلُ الْوَقْف على رُؤُوس الْآيَاتِ وَإِنْ تَعَلَّقَتْ بِمَا بَعْدَهَا اتِّبَاعًا لِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّتِهِ، وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ أُمِّ سَلَمَة أَنّ النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ قَطَّعَ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. ثُمَّ يَقِفُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ. ثُمَّ يَقِفُ: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [الْفَاتِحَة:١- ٣] ثُمَّ يَقِفُ. عَلَى أَنَّ وَرَاءَ هَذَا وُجُوبَ اتِّبَاعِ الْمَأْثُورِ مِنْ تَحْدِيدِ الْآيِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَالزَّمَخْشَرِيُّ وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَصُدُّنَا عَنْ مُحَاوَلَةِ ضَوَابِطَ تَنْفَعُ النَّاظِرَ وَإِنْ شَذَّ عَنْهَا مَا شَذَّ.

[٨٠]) يُنظر: التحرير والتوير:١/٧٧.

[٨١]) يُنظر: التحرير والتنوير:١/٧٧.

[٨٢]) يُنظر: المصدر نفسه:١/٧٧.

[٨٣]) يُنظر في هذا المعنى: (فواصل الآيات القرآنية/كمال الدين عبد الغني)، ص٦٥.

[٨٤]) يُنظر: التحرير والتنوير:٢٦/٣٠٢.

[٨٥]) المصدر نفسه: ٢٦/٣٠٧.

[٨٦]) نفسه:٢٦/٣٥٣.

[٨٧]) يُنظر: التحرير والتنوير:٢٧/٦٣.

[٨٨]) يُنظر: المصدر نفسه:٢٧/٦٧.

[٨٩]) يُنظر: التحرير والتنوير: ٢٧/١٤٣.

[٩٠]) يُنظر: موضع الآية :٤٤ من سورة النجم، في التحرير والتنوير:٢٧/١٤٤.

[٩١]) التحرير والتنوير:٢٧/١٨٢.

[٩٢]) الرحمن:٥٢، ويُنظر: التحرير والتنوير: ٢٧/٢٦٧.

[٩٣]) التغابن:٣، يُنظر: التحرير والتنوير:٢٨/٢٦٦.

[٩٤]) الملك:١٢، التحرير والتنوير: ٢٩/٢٩.

[٩٥]) الملك:١٨، التحرير والتنوير:٢٩/٣٦.

[٩٦]) الملك:٢٤، التحرير والتنوير:٢٩/٤٨.

[٩٧]) الملك:٢٧، التحرير والتنوير: ٢٩/٥٠.

[٩٨]) الحاقة:٣١، التحرير والتنوير:٢٩/١٢٨.

[٩٩]) نوح:١٦، التحرير والتنوير:٢٩/١٣٨.

[١٠٠]) المُدثر:٧، التحرير والتنوير:٢٩/٣٠٠.

[١٠١]) يُنظر: ايقاع الحصار وحركة المقاومة، د. بشرى البستاني، ص٥٨.

[١٠٢]) يُنظر: التشكيل المكاني البنائي لظاهرة التكرار في شعر جرير، اسماعيل أحمد العالم، مجلة جرش للدراسات الانسانية، المجلد: ٥، العدد: ١، لسنة ١٩٩٨، ص٨٣.

[١٠٣]) يُنظر: تحليل النص الشعري: ١٧٧-١٧٨.

[١٠٤]) قضايا الشعرية، رومان ياكبسون : ١٠٣.

[١٠٥]) شعر محمود حسن اسماعيل (دراسة أُسلوبية) ، عشتار داود محمد ، رسالة (ماجستير): ٣١. ويُنظر: اللغة الشعرية، ص١١٦.

[١٠٦]) التوازي في شعر يوسف الصائغ واثره في الايقاع والدلالة ، د. سامح الرواشدة ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ لسنة ١٩٩٨ : ٩-١٠ .

[١٠٧]) البنى الايقاعية في مجموعة محمود درويش (حصار لمدائح البحر) ، د. بسام قطوس : ٦١ .

[١٠٨]) في الشعرية:٤٠.

[١٠٩]) التحرير والتنوير:١٨٧/٢٧.

[١١٠]) المصدر نفسه:١٩١/٢٧.

[١١١]) يُنظر: التوازي الصوتي في سورة القمر، د. أشواق محمد إسماعيل النجار، جامعة صلاح الدين، مجلة الرافدين، ٢٠١٠.٢٠٠٩م. ص٣.

[١١٢]) ينظر: القضايا الشعرية، رومان ياكوبوسون، ترجمة: محمد الولي، دار توقال للنشر، المغرب، ط:١: ١٠٣. وينظر: التوازي في القرآن الكريم، وداد مكاوي حمود الشمري، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠١، ص٣.

[١١٣]) يُنظر: بنية القصيدة ، عبد الهادي زاهر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٣ لسنة ١٩٨١ : ٢٢٢ .

[١١٤]) يُنظر: جماليات الأسلوب في الرواية، د. موسى ربابعة ، مجلة الاقلام، العدد ٣ لسنة ١٩٩٨، ص٣٢.

[١١٥]) يُنظر: الأفكار والأسلوب، أ. ف. تشيشرون ، ترجمة : حياة شرارة : ١٨٤.

[١١٦]) يُنظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص٣٦.

[١١٧]) التحرير والتنوير: ١١٦/١.

[١١٨]) النازعات:١٦.

[١١٩]) التحرير والتنوير:١١٧/١.

[١٢٠]) يُنظر: التحرير والتنوير:١٤١/١.

[١٢١]) يُنظر: المصدر نفسه:٢٦٤/٢٧.

[١٢٢] التحرير والتنوير:٢٢٤/٢٧.

[١٢٣]) يُنظر: المصدر نفسه:٢٩٧/٢٧.

[١٢٤]) نفسه:٣٣٧/٣٠.

[١٢٥]) يُنظر: نفسه: ٣٠٠/٢٧.

[١٢٦]) يُنظر: نفسه:٤٤١/٢٩.

[١٢٧]) يُنظر: التحرير والتنوير: ١٢٠/٢٨.

[١٢٨]) الملك:٤.

[١٢٩]) التحرير والتنوير:٣٠/٢٩.

[١٣٠]) المصدر نفسه:٢٦٨/٣٠.

[١٣١]) نفسه:٤١٦/٣٠.

[١٣٢]) التحرير والتنوير:٤٤٨/٣٠.

[١٣٣]) المصدر نفسه:٤٥٩/٣٠.

[١٣٤]) نفسه:٥٢١/٣٠.

[١٣٥]) (الفونيم Phoneme): أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى فرق في المعنى، إذا استبدلت بصوت آخر في البيئة الصوتية نفسها، كالفرق بين (سال) و(زال).نفسها. أمّا الألوفون Allophone ؛ فمصطلَح صوتيّ يدلّ على مظهر من مَظاهِرَ الفونيم الواحد، أي للصّوتِ المُطلَق الواحِد، وكلّ ألوفون شكلٌ [أو تنوع أو تَجَلٍّ] من أشكالِ [أو تنوعات أو تَجلّياتِ] الصّوت الواحد، بمعنى أنّه متعلّقٌ بطريقة الأداء النُطقي للحرف المُعيّن. مقالة للدكتور بالقاسم حُسيني، منتدى بلقاسم حُسيني، عى الشبكة العنكبوتية.

المصادر:

- القران الكريم.
- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول (ص) دراسة بلاغية وأسلوبية، عدنان الجُميلي، أطروحة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
- أثر الانسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم، د. فدوى محمد حسان، عالم الكتب الحديث، أربد . الأردن، ٢٠١١م.
- الادغام في ضوء الحديث . رسالة . وجدان عبد اللطيف موسى الشمايله، جامعة مؤتة، ٢٠٠٢م .
- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط:١.
- الأصوات اللغوية محمد علي الخولي، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ١١٨٧م.
- الأصوات وأثرها في تغيير بنية الكلمة العربية (رسالة)، دراسة وصفية لغوية في مجمع الامثال للميداني، ابتسام حبيب ميرغني عوض الكريم، جامعة أم درمان الاسلامية ،٢٠٠٩م.
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، محمد حسين أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، ط:٢، ١٤٠٨.١٩٨٨م.
- البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن شرشر. دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط:١، ١٩٨٨م.
- بنية القصيدة ، عبد الهادي زاهر ، مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ٣ لسنة ١٩٨١ .
- تجليات ظاهرة التخالف الصّوتي في اللغة العربية: سهل ليلى، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الرابع.
- التشكيل المكاني البنائي لظاهرة التكرار في شعر جرير، اسماعيل أحمد العالم، مجلة جرش للدراسات الانسانية، المجلد: ٥، العدد: ١، لسنة ١٩٩٨.
- التوازي الصوتي في سورة القمر، د. أشواق محمد إسماعيل النجار، جامعة صلاح الدين، مجلة الرافدين، ٢٠٠٩.٢٠١٠م.
- التوازي في شعر يوسف الصائغ واثره في الايقاع والدلالة ، د. سامح الرواشدة ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ لسنة ١٩٩٨ .
- التوازي في القرآن الكريم، وداد مكاوي حمود الشمري، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠١.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، (بحث)، د. كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد٩، ١ ايلول / .
- جمال الفاصلة في القرآن (بحث) للدكتور عبد القادر بن فطة، الجزائر.
- جماليات الأسلوب في الرواية، د. موسى ربابعة ، مجلة الاقلام، العدد ٣ لسنة ١٩٩٨.
- دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر. عالم الكتب، ١٩٩٧م.

- دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م
- علم اللغة: علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ط٩، بلا تاريخ .
- الفاصلة القرآنية وجماليتها في سورة طه والرحمن، رسالة ماجستير، بن يمينة جميلة، كلية الآداب والفنون، الجزائر، ٢٠١٣م
- القضايا الشعرية، رومان ياكوبوسون، ترجمة: محمد الولي، دار توقال للنشر، المغرب، ط:١.
- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسّان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٧٩.
- مقالة للدكتور بالقاسم حُسيني، منتدى بلقاسم حُسيني، على الشبكة العنكبوتية.
- موسيقى الشعر: ابراهيم أنيس، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢.
- النظم القرآني في تفسير القرطبي دراسة أسلوبية / السيد عبدالسميع حسونة / مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ دبي/ ع٢١ / ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م.